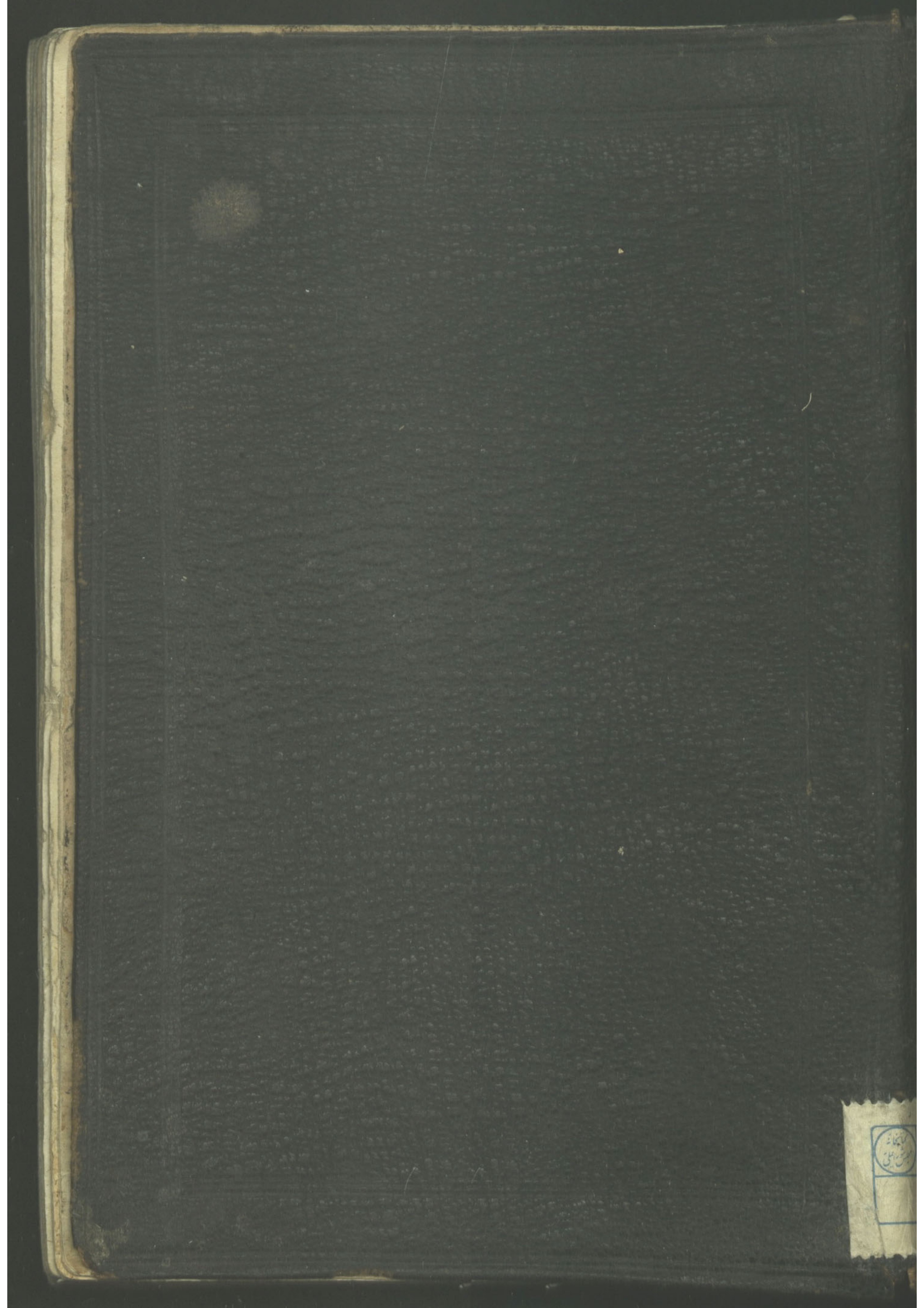




کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب
مؤلف
مترجم
موضوع
شمارهٔ قفسه
ف ۷۶۵۹
شماره ثبت کتاب
۵۰۸۱۸
۷۶۵۹



بسم الله الرحمن الرحيم

روى محمد ابن سنان قال حدثني المفضل بن عمر
قال كنت ذات يوم بعد العصر جالسا في الروضه
بين القبر والمنبر وانا مفكر فيما خص الله به
السيدنا محمد صلى الله عليه وآله من الشرف
والفضايل وما منحه واعطاه وشرفه به
وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الامه وما
جهلوه من فضله وعظم منزلته وخطر مرتبته
فاني لكذلك اذ اقبل ابن ابي العوجا فجلس

بحيث

بحيث اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذا
دخل من اصحابه قد جاء فجلس اليه فتكلم به
ابن ابي العوجا فقال لقد بلغ صاحب هذا
القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله
ونال الحظوة في كل احواله فقال صاحبه
انه كان فيلسوفا ادعى المرتبه العظمى والمنزله
الكبرى واتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول
وضلت فيها الاحلام وغاصت الالباب
على طلب علمها في بحار الكفر فرجعت خاسئة

وهی حسیر فلما استجاب لدعوته العقلا والفصحا
والخطباء دخل الناس فی دینه افواجا فقرن اسمه
باسم ناموسه فصار یهتف به علی رؤوس الصوامع
فی جمیع البلدان المواضع التی انتهت الیها دعوته
وعلت بها کلمته وظهرت فیها حجته برا وبحرا
وسهلا وجبلا فی کل یوم ولیلة خمس مرات
مرددا فی الاذان والاقامات لیتجدد فی کل ساعة
ذکره ولیلا یخمل امره فقال ابن ابی العوجاء دع ذکر
محمد فقد تحیر فیه عقلی وضل فی امره فکری

وحدثنا

وحدثنا فی ذکر الاصل الذی یمشی به ثم ذکر ابتدا
الاشیاء وزعم ان ذلک باهمال لا صنعة فیه
ولا تقدیر ولا صانع له ولا مدبر بل الاشیا
یتکون من ذاتها بلا مدبر وعلی هذا کانت الدنیا
لم یزل ولا یزال قال المفضل فلم املک نفسی غضبا
وغیظا وحنقا فقلت یا عدو الله الحدت فی
دین الله وانکرت الباری جل قدسه الذی خلقک
فی احسن تقویم وصورک فی اتم صورة ونقلک
فی احوالک حتی بلغ بک الی حیث انتهیت فلو

تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك لو
جدت دلايل الربوبيه واثار الصنعة فيك
قايمة وشواهده جل وتقدس في خلقك
واضحه وبراهينه لك لايحة فقال يا هذا ان
كنت من اهل الكلام كلمناك فان ثبت لك حجة
تبعناك وان لم تكن منهم فلا كلام لك وان كنت
من اصحاب جعفر بن محمد الصادق ع فما هكذا يخاطبنا
ولا بمثل دليلك يجادل فينا ولقد سمع من كلامنا
اكثر مما سمعت فما افحش في خطابنا ولا تعدى

ولا

ولا تعدى في جوابنا وانه للحليم الرزين العاقل
الرصين لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق
يسمع كلامنا ويصغي الينا ويستعرف حجتنا
حتى اذا استفرغنا ما عندنا وظننا انا قد
قطعناه ادحض حجتنا بكلام يسير وخطاب
قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع
لجوابه ردا فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل
خطابه قال المفضل فخرجت من المسجد محزونا
مفكراً فيما بلي به الاسلام واهله من كفر هذه

العصا نه ودخلت على مولاى ع فرانى منكسرا فقال

يا مفضل لا مالك فاخبرته بما سمعت من الدهريين

وما رددت عليهما فقال يا مفضل لالقين

اليك من حكمة البارى جل وعلى تقدس اسمه

فى خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام

وكل ذى روح من الانعام والنباتات والشجر المثمرة

وغير ذات الثمر والحبوب والبقول الماكول من ذلك

وغير الماكول ما يعتبر المعتبرون ويسكن

الى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون

فبكرة

فبكرا على غداة ال المفضل فانصرفت من عنده فرحا

مسرورا وطالت على تلك الليله انتظارا لما وعدنى

به فلما اصبحت غدوت فاستؤذن لى فدخلت

وقمت بين يديه فامرنى بالجلوس فجلست

ثم نهض الى حجرة كان يخلو فيها ونهضت بنهوضه

فقال اتبعنى فتبعته فدخل فدخلت خلفه

مجلس ٢

وجلست بين يديه فقال يا مفضل كانى بك

وقد طالت عليك هذه الليله انتظارا لما

وعدتك فقلت اجل يا مولاى فقال يا مفضل

ان الله كان ولا شئ قبله وهو باق ولا نهاية له
ولله الحمد على ما الهمنا والشكر على ما منحنا فقد
خصّنا من العلوم باعلاها ومن المعاني باسناها
واصطفينا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا
مهيمنين عليهم بحكمته فقلت يا مولاي اتاذن لي
ان اكتب ما تشرحه وكنت اعدت معي ما اكتب
فيه فقال لي افعل يا مفضل ان الشكاك جهلو
الاسباب والمعاني في الخلقه وقصرت افهامهم
عن تامل الصواب والحكمة في ما ذراء الباري

جلّ

جلّ قدسه وبراءه من صنوف خلقه في البرّ والبحر
والسهل فخرجوا بقصر علومهم الى الجحود وبضعف
بصايرهم الى التكذيب من العنود حتى انكروا
خلق الاشيا وادّعوا انّ كونها بالاهمال لا صنعة
فيه ولا تقدير ولا حكمة من مدبّر ولا صانع
تعالى الله عمّا يصفون وقاتلهم الله انّى يؤفكون
فهم في ضلالتهم وعمهم وتحيّرهم بمنزلة عميان
دخلوا دارا قد بنيت اتقن بناء واحسنه وفرشت
باحسن الفرش وافخره واعدّ فيها ضروب الاطعمه

والاشربة والملابس والمآرب التي يحتاج اليها ولا يستغنى

عنها ووضع كل شئ من ذلك موضعه على صواب

من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون

فيها يمينا وشمالا ويطوفون بيوتها ادبارا

واقبالا محجوبة ابصارهم عنها لا يبصرون

هيئة الدار وما اعد فيها وربما عثر بعضهم بالشئ

الذي قد وضع موضعه واعد للحاجة اليه

وهو جاهل بالمعنى فيه ولما اعد ولماذا

جعل كذلك فتضجر وتسخط وذم الدار وبانيها

فهذه

فهذه حال هذا الصنف في انكارهم ما انكروا من

امر الخلقة وثبات الصنعة فانهم لما عزبت اذهانهم

عن معرفة الاسباب والعلل في الاشياء صاروا

يجولون في هذا العالم حيارى ولا يفهمون

ما هو عليه من اتقان خلقته وحسن صنعته

وصواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشئ

يجهل سببه والارب فيه فيشرع الى ذمه

ووصفه بالاحالة والخطاء كالذي قدمت

عليه المانية الكفرة وجاهرت الملحدة المارقة

الفجرة واشباههم من اهل الضلال المعللين
انفسهم بالمحال فيحق على من انعم الله عليه
وهداه لدينه ووفقه لتامل التدبير في صنعة
الخلايق والوقوف على ما خلقواله من لطيف
التدبير وصواب التعبير بالدلالات القايمه
الدالة على صانعها ان حمد الله مولاه على ذلك
ويرغب اليه في الثبات عليه والزيادة منه فانه جل
اسمه يقول لان شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد يا مفضل اول العبر والادله
على

على الباري جل قدسه تهيئته هذا العالم و
تاليف اجزائه ونظمها على ما هي عليه فانك
اذا تاملت العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته
كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه
عباده فالسماء مرفوعة كالسقف والارض
ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح
الجواهر مخزونه كالذخاير وكل شئ فيها لشانه
معد والانسان كالمملك لذلك البيت والمحول
جميع ما فيه وضروب النبات مهيات لماربه

وصنوف الحيوان مصروفة فى مصالحه
ومنافعه ففى هذا دلالات واضحة على ان
العالم مخلوف بتقدير وحكمة ونظام وملائمة
وان الخالق له واحد وهو الذى الفه ونظم
بعضا الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم
وجهه ولا اله غيره تعالى عما يقول الجاحدون
وجل وعظم عما ينتحله الملحدون يقتدى
يا مفضل بذكر خلق الانسان فاعتبر به فاول
ذلك ما يدبر به الجنين فى الرحم وهو محجوب

فى ظلمات ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
حيث لا حيلة عنده فى طلب الغذا ولا دفع اذى
ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فانه
يجرى اليه من دم الحيض امه ما يغذوه من دم امه
كما يغذوا الماء النبات فلا يزال ذلك غذائه حتى
اذا اكمل خلقه واستحكم بدنه وقوى اديمه على مبا
شرة الهواء وبصره على ملاقات الضيا هاج الطلق بامه
فازعجه اشد ازعاج واعنقه حتى يولد فاذا
ولد صرف ذلك الدم الذى كان يغذوه من دم

الى ثديها فان قلب الطعم واللون الى ضرب
اخر من الغذاء وهو اشد موافقة للمولود من
الدم فيوافيه في وقت حاجته اليه فحين يولد
قد تلمظ وحرّك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد
ثدي امّه كالاداوتين المتعلقتين لحاجته
فلا يزال يغتذي باللّبن مادام رطب البدن
رقيق الامعاء لين الاعضاء حتى اذا تحرّك واحتاج
الى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه
طلعت له الطواحين من الانسان والاضراس
ليمضغ به

ليمضّغ به الطعام فيلين عليه ويسهل له اساغته
فلا يزال كذلك حتى يدرك فاذا ادرك وكان ذكرا
طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعزّ
الرّجل الّذي يخرج به من حد الصبى وشبه النساء
وان كانت انثى يبقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها
البهجة والنضارة التى تحرّك الرجال لما فيه دوام
النسل وبقائه اعتبر ما مفضل فيما يدبّر به الانسان
في هذه الاحوال المختلفة هل ترى يمكن ان يكون
بالاهمال افرايت لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو

وهو فى الرّحم لم يكن سيغذوى كما و يجف النبات
اذا فقد الماء ولو لم ترا المحاض عند استحكامه
لم يكن سيبقى فى الرّحم كالموؤد فى الارض ولو
لم يوافقه اللّبن مع ولادته لم يكن سيموت
جوعا او يغتذى بغذاء لا يلائمه ولا يصلح
عليه بدنه ولو لم يطّلع عليه الانسان فى وقتها
لم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام واساغته
او يقيمه على الرّضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح
لعمل ثمّ كان تشتغل امّه بنفسه عن تربيت

غيره

غيره من الاولاد ولو لم يخرج الشعر من وجهه
فى وقته لم يكن سيبقى فى هيئته الصبيان
والنّساء فلا ترى له جلالة ولا وقارا فقال
المفضّل فقلت يا مولاى فقد رايت من يبقى
على حالته ولا ينبت الشعر من وجهه وان بلغ
حال الكبر فقال عليه السلام ذلك بما قدّمت
ايديهم وان الله ليس بظلّام للعبيد فمن هذا الذى
يرصده حتى يوافقه بكل شئ من هذه المآرب
الّا الّذى انشاءه خلقا بعد ان لم يكن ثم يوكل له

بمصلحته بعد ان كان فان كان الاهمال ياتي بمثل
هذا التدبير فقد يجب ان يكون العمد والتقدير
ياتيان بالخطاء والمحال لانهما ضد الاهمال
فهذا قطيع من القول وجهل من قايله لان الاهمال
لا ياتي بالصواب والتضاد لا ياتي بالنظام
تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا ولو كان
المولود يولد فهما عاقلا لانكر العالم عند ولادته
وليقي حيران تايه العقل اذا راى ما لم يعرف وورد
عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم

والطير

والطير من البهايم الى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد
ساعة يوما بعد يوم واعتبر ذلك بان من سبي من
بلد الى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع
في تعلم الكلام وقبول الادب كما يسرع الذي
يسبى صغيرا غير عاقل ثم لو ولد عاقلا كان يجد غضاضته
اذا راى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق
مسجى في المهد لانه لا يستغني عن هذا كله لرقة
بدنه ورطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من
الحلاوة الموقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار

يخرج الى الدنيا غبيا غافلا عمّا فيه اهله فيلقى لا شاء
بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزيّد
في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد
حال حتى يالف الاشياء ويتمرّن ويستمر عليها فيخرج
من حد التامّل لها والحيرة فيها الى التصرّف وا
الاضطراب في المعاش بعقله وحيلته والى
الطاعة والسهو والغفلة والمعصية وفي هذا ايضـ
وجوه اخر فانّه لو كان يولد تمام العقل مستقلًّا
بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الاولاد

وما

وما قدّر ان يكون للوالدين في الاشتغال بالولد
من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الابناء
من المكافات بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم
الى ذلك منهم ثم كان الاولاد لا يالفون اباءهم ولا
يألف الآباء ابناءهم لانّ الاولاد كانوا يستغنون
عن تربية الاباء وحياطتهم عنهم فيتفرقون عنهم
حين يولدون فلا يعرف الرجل اباه وامّه ولا
يمتنع من نكاح امّه واخته وذوات المحارم منه
اذا كان لا يعرفهنّ واقلّ ما في ذلك من القباحة

بل هو اشنع واعظم واقطع واقبح وابشع لو خرج
المولود من بطن امه وهو يعقل ان يرى منها
ما لا يحل له ولا يحسن به ان يراه افلا ترى كيف
اقيم كل شيء من خلقه على غاية الصواب وخلا
من الخطاء دقيقه وجليله اعرف يا مفضل
ما للاطفال في البكاء من المنفعه واعلم ان في ادمغة
الاطفال رطوبه ان بقيت فيها احدثت عليهم
احداثا جليله وعللا عظيمه من ذهاب
البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم
فيعقبهم

فيعقبهم ذلك الصحة في ابدانهم والسلامة في ابصارهم
فلس قد جاز ان يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالده
لا يعرفان ذلك فهما يسكتانه ويتوخيان في الامور
مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان ان البكاء
اصلح له واجمل عاقبة وهكذا يجوز ان في كثير
من الاشياء منافع لا يعرفها القائلون بالاهمال
ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء انه لا منفعة
فيه من اجل انهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب
فيه فان كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون

وكثير امما يقصر منه علم المخلوقين محيط به علم الخالق

جلّ قدسه وعلمت كلمته فاما ما يسيل

من افواه الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة

الّذى لو بقيت في ابدانهم لاحدث عليهم الامور

العظيمه كمن تراه قد قلبت عليه الرطوبه فاخرجت

الى حدّ البله والجنون والتخليط الى غير ذلك من الامراض

المتلفه كالفالج واللقوه وما اشبهها فجعل الله

تلك الرطوبة تسيل من افواههم في صغرهم لما لهم

في ذلك من الصحّة في كبرهم فتفضّل على خلقه

بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم

لشغلهم ذلك عن التمادى في معصيته فسبحانه ما

اجلّ نعمته واسبغها على المستحقّين وغيرهم

من خلقه وتعالى عمّا يقولون المبطلون علوّا كبيرا

انظر الان يا مفضّل كيف جعلت آلات الجماع في

الذكر والانثى جميعا على ما يشاء كلّ ذلك فجعل للرجل

الة ناشزه تمتدّ حتى يصل النطفه الى الرحم اذا كان

محتاجا الى ان يقذف ماؤه في غيره وخلق للانثى

دعاء قعر ليشتمل على المائين جميعا ويحتمل الولد

ويتّسع له ويصونه حتى تستحكم اليس ذلك
من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عمّا يشركون
فكّر يا مفضّل فى اعضاء البدن اجمع
وتدبير كلّ عضو منها للارب فاليدان للعلاج
والرّجلان للسعى والعينان للاهتداء والفم
للاغتذا والمعده للهضم والكبد للتخليص والمنافذ
لتنفيذ الفضول والاوعية لحملها والفرج
لاقامة النسل وكذلك جميع الاعضاء اذا تا
ملتها واعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كلّ
شئ

شئ منها قدر لشئ على صواب وحكمة قال المفضّل فقلت
فقلت يا مولاى انّ قوما يزعمون انّ هذا من
الفعل الطبيعه فقال عليه السلم سلهم عن هذه
الطبيعه اهى شئ له علم وقدرة على مثل هذه
الافعال ام ليست كذلك فان اوجبوا لها العلم
والقدره فما يمنعهم من اثبات الخالق فان هذه
صفته وان زعموا انّها تفعل هذه الافعال
بغير عمد وعلم ولا عمد وكان فى افعالها ما قد تراه من
الصواب والحكمه وعلم انّ هذه الفعل للخالق

الحكيم ان الذى سموه طبيعة وهو سنته فى خلقه

الجاريه على ما اجراها عليه فكر يا مفضل

فى وصول الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير

فان الطعام يصير الى المعده فتطبخه وتبعث بصفوه

الى الكبد فى عروق دقاق واشجة بينهما

قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل الى

الكبد منه شئ فينكاها وذلك ان الكبد رقيقة

لا يحتمل العنف ثم ان الكبد تقبله فيستحيل

بلطف التدبير دما وتنفذه الى البدن كله فى

مجارى

مجارى مهياة كذلك بمنزلة المجارى التى تهيأ للماء

حتى يطرد فى الارض كلها وينفذ ما يخرج منه

من الخبث والفضول الى المغايض قد اعد لذلك

فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة

وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال وما

كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة فتامل

حكم التدبير فى تركيب البدن ووضع هذه الاعضاء

منه مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل

تلك الفضول لئلا تنتشر فى البدن فتسقمه وتنهكه

فتبارك الله من احسن التقدير واحكم التدبير وله
الحمد كما هو اهله ومستحقه قال المفضل
فقلت صف نشو الابدان ونموها حالا بعد
حال حتى تبلغ التمام والكمال فقال عليه السلام
اول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين
ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفيا
جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الاحشاء
والجوارح والعوامل الى ما في تركيب اعضائه
من العظام واللحم والشحم والعصب والمخ والعروق

والقضا

والقضاريف فاذا خرج الى العالم تراه كيف ينمي بجميع
اعضائه وهو ثابت على شكله وهيئته لا تتزايد
ولا تتبعض الى ان يبلغ اشده ان مدّ في عمره او
يستوفي مدته قبل ذلك هل هذا الا من لطيف
التدبير والحكمة يا مفضل انظر الى ما خص به
الانسان في خلقه تشريفا وتفضيلا على البهائم
فانه خلق ينتصب قائما ويستوي جالسا ليستقبل
الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل
بها فلو كان مكبوبا على وجهه كذات الاربع لما

استطاع ان يعمل شيئا من الاعمال انظر الان يا مفضل

الى هذه الحواس التي يختص بها الانسان في خلقه

وشرف بها على غيره كيف جعلت عيناه في الراس

كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الاشيا

ولم يجعل في الاعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين

فتعرضها الافات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة

ما يعللها ويؤثر فيها او ينقص منها ولا في الاعضا

التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلبها

واطلاعها نحو الاشياء فلما لم يكن لها في شيء من

هذه

هذه الاعضاء موضع كان الراس اسنا المواضع

للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمسا

فلقي خمسا لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق

البصر ليدرك الالوان فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها

لم تكن فيها منفعة وخلق السمع ليدرك الاصوات

فلو كانت الاصوات ولم تكن سمع يدركها لم يكن فيها

ارب وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافيا

فلو كان بصر ولم تكن الوان لما كان للبصر معنى

ولو كان سمع ولم تكن اصوات لم للسمع موضع

فانظر كيف قدر بعضها تلقى بعضا فجعل لكل حاسه
محسوسا تعمل فيه ولكل محسوس حاسه تدركه
ومع هذا فقد جعلت اشياء متوسطه بين
الحواس والمحسوسات لا يتم الحواس الا بها
كمثل الضياء والهواء فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون
للبصر لم يكن البصر يدرك الالوان ولم يكن هواء يودى
الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت
فهل يخفى على من صح نظره واعمل فكره ان مثل
هذا الذى وصفت من تهيئه الحواس والمحسوسات
بعضها

بعضها تلقى بعضا وتهيئه اشياء اخر بها يتم الحواس
لا يكون الا بعمد وتقدير من لطيف خبير فكر يا مفضل
فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل فى
اموره فانه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر ما بين
يديه فلا يفرق بين الالوان وبين المنظر الحسن
والقبيح ولا يرى حفرة ان هجم عليها فلا عدوا
وان اهوى اليه بسيف فلا تكون له سبيل الى
ان يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل الكتابة
والتجارة والصياغة حتى انه لولا نفاذ ذهنه

لكان بمنزلة الحجر الملقى وكذلك من عدم السمع مختل

فى امور كثيرة فانه يفقد روح المخاطبه والمحاورة

وبعدم لذة الاصوات واللحون الشجيه المطربة

ويعظم المؤنة على الناس فى محاورته حتى يتبرموا

به ولا يسمع شيئا من اخبار الناس واحاديثهم حتى

يكون كالغايب وهو شاهد وكالميّت وهو

حىّ واما من عدم العقل فانه يلحق بمنزلة البهايم

بل يجهل كثيرا مما اهتدى اليه البهايم افلا ترى

كيف صارت الجوارح والعقل وساير الخلال

التى

التى بها صلاح الانسان والتى لو فقد منها شيئا لعظم

ما يناله فى ذلك من الخلل يوافى خلقه على التمام

حتى لا يفقد شيا منها فلم كان كذلك الا لانه

خلق بعلم وتقدير قال المفضل فقلت لم صار

بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله

فى ذلك مثل ما وصفته يا مولاى قال عليه السلام

للتاديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه

كما يؤدب الملوك ناسا للتنكيل والموعظة فلا ينكر

ذلك عليهم بل يحمل من رايهم وتصوب من تدبيرهم

ثم ان للذين تنزل بهم هذه البلايا من الصواب بعد

الموت ان شكروا وانابوا ما يستصغرون معه

ما نالهم منها حتى انهم لو خيروا بعد الموت

لاختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب

فكر يا مفضل في الاعضاء التي خلقت

افرادا وازواجا وما في ذلك من الحكمة والتقدير

والصواب في التدبير فالراس مما خلق

فردا ولم يكن للانسان صلاح في ان يكون اكثر

من واحد الا ترى انه لو اضيف الى راس الانسان

راس

راس اخر لكان ثقلا عليه من غير حاجة اليه

لان الحواس التي يحتاج اليها مجتمعة في راس

واحد ثم كان الانسان ينقسم قسمين لو كان له راسان

فان تكلم من احدهما كان الاخر معطلا لا ارب فيه

لا حاجة اليه وان تكلم منهما جميعا بكلام واحد

كان احدهما فضلا لا يحتاج اليه وان تكلم من

احدهما بغير الذي تكلم به من الاخر لم يدر السامع

باي ذلك ياخذ واشباه هذا من الاخلاط

واليدان مما خلق ازواجا ولم يكن للانسان خير في ان يكون

له يد واحدة لان ذلك كان يخذ به فيما يحتاج الى
الى معالجته الاشياء الا يرى ان النجار والبنا
لو شلت احدى يديه لم يستطع ان يعالج صناعته
وان تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغ
اذا كانت له يدان تتعاونان على العمل لطف الفكر
يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة الالة في
الانسان فالحنجرة كالانبوبة لمخرج الصوت
واللسان والشفتان والاسنان لصياغة
الحروف والنغم الا يرى ان من سقطت اسنانه

لم يقم السين ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ومن
ثقل لسانه لم يفصح الراء واشبه ذلك المزمار الاعظم
فالحنجرة يشبه قصبة المزمار والرية تشبه
الزق الذي ينفخ فيه ليدخل الريح والعضلات
الذي تقبض على الرية ليخرج الصوت كالاصابع
التي تقبض على الزق حتى يجري الريح في المزمار والشفتان
والاسنان التي تصوغ الصوت حروفا ونغما
كالاصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره
الحانا غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه

المزماد با الدلالت لتعريف فان المزمار با الحقيقه
هو المشبّه بمخرج الصوت وذا نبائك عنا بما فى الاعضاء
من الغنى من صيغة الكلام واقامة الحروف وفيها
ومع الّذى ذكرت لك مآرب اخرى فا لنحجزه لبلك
فما هذا النسيم الحار به فتروح عن الفؤاد با النفس الدائم
المتابع الّذى لو احتبس شيئا يسيرا الهلك الانسان
باللّسان تذاق الطعوم فتميّز بينهما ويعرق كل واحدٍ
منها حلوّها من مرّها وحامضها من مرّها ومالحها
من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة

على اساغة الطعام والشراب والاسنان لمضغ الطعام
حتى يلين ويسهل اساغته وهى مع ذلك كا السند
الشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك
بانك ترى من سقطت اسنانه مسترخى الشفه ومضربها
با الشفتين يترشف الشراب حتى يكون الّذى يصل الى
الجوف منه بقصد وقدر لا يثج ثجا فيغص به الشارب
او يتكأ فى الجوف ثم هما بعد ذلك كا الباب المطبق
على الفم يفتحهما الانسان اذا شاء ويطبقهما اذا شاء
[illegible] نا من هذا بيان ان كل واحد من هذه

الاعضاء ينصرف وينقسم الى وجوه من المنافع كما
ينصرف الاداة الواحدة فى اعمال شى وذلك كالفاس
تستعمل فى النجارة والحفر وغيرهما من الاعمال لو رايت
الدماغ اذا كشف عنه لرايته قد لف بحجب بعضها
فوق بعض ليصونه فى الاعراض ويمسكه فلا يضطرب
ولرايت عليه الجمجمة بمنزلة بيضة كما يقيه حد الصدمة
والصكة التى ربما وقعت فى الراس ثم قد جللت الجمجمة
بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للراس يستره من شدة
الحر والبرد فمن حصن الدماغ هذا التحصين الا الذى

وجعله

وجعله ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة
بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته
تامل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء
والاشفار كالاشراج واولجها فى الغار واظلها
بالحجاب وما عليه من الشعر يا مفضل من غيب الفؤاد
فى جوف الصدر وكساه المدرعة التى هى غشاؤه
وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب
لئلا يصل اليه ما ينكاه من جعل فى الحلق
منفذين احدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل

بالرئه والاخرى منفذ للفضاء وهو المروى المتصل
بالمعدة الموصل للغذاء اليها وجعل على الحلقوم طبقا
يمنع الطعام ان يصل الرئه فتقتل من جعل الرئه
مروحة الفواد لا تفتر ولا تخل لكيلا يتحى الحرارة
في الفواد فتودى الى التلف من جعل منافذ البول
والغايط اشراجا تضبطهما لئلا يجريا جريانا دائما
فيفسد على الانسان عيشه فكم عسى ان يحصى
المحصى من هذا بل الذى لا يحصى منه لا يعلمه
الناس اكثر من جعل المعدة عصبانية شديدة
وقدرها

وقدرها لهضم الطعام الغليظ ومن جعل الكبد رقيقة
ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ولتهضم
وتعمل ما هو الطف من عمل المعدة الا الله القادر
اترى الاهمال ياتى بشيء من ذلك كلا بل هو تدبير
من مدبر حكيم قادر عالم بالاشيا قبل خلقه اياها
لا تعجزه شيء وهو اللطيف الخبير فكر يا مفضل لم صار
المخ الرقيق محصنا في انابيب العظام هل ذلك الا لتحفظه
ويصونه لم صار الدم السائل محصورا في العروق
بمنزلة الماء في الظروف الا لتضبطه فلا يفيض لم

صارت الاظفار على اطراف الاصابع الا وقاية لها

ومعونة على العمل لم صار داخل الاذن ملتويا

كهيئة الكواكب الا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي

الى السمع وليكسر حميته الريح فلا تنكاء في السمع لم

حمل الانسان على فخذيه واليتيه هذا اللحم الا ليقيه

من الارض فلا يتالم من الجلوس عليها كما يالم من نحل

جسمه وقل لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حايل

بقية صلابتها من جعل الانسان ذكرا وانثى

الا من خلقه متناسلا الا من خلقه مؤملا

ومن اعطاه الات العمل الا من خلقه عاملا ومن خلقه

عاملا الا من جعله محتاجا ومن جعله محتاجا الا من ضربه

محتاجا الا من يتوكل بتقويمه من خصه بالفهم الا

من اوجب له الجزاء من وهب له الحيلة الا من

ملكه له الحول من ملكه الحول الا من الزمه الحجة من يكفيه

ما لا يبلغه حيلته الا من لا يبلغ مدى شكره فكر

وتدبر ما وصفناه هل تجد الاهمال ياتي على هذا

النظام والترتيب تبارك الله وتعالى عما يصفون

اصف لك الان يا مفضل الفؤاد اعلم ان فيه

تقيا موجهة نحو تقف التي في الرئة تروح عن الفؤاد

حتى لو اختلف تلك النصب وتزايل بعضها عن بعض

لما وصل الروح الى الفؤاد ولهلك الانسان افتتحير

ذو فكرة ورؤية ان يزعم ان مثل هذا يكون بالاهمال

ولا يجد شاهدا من نفسه تزعه عن هذا القول

لو رايت فردا من مصراعين فيه كلوا لكنت بتوهم

انه جعل لك بلا معنى بل كنت ستعلم ضرورة انه

مصنوع تلقى فردا آخر فتبرزه ليكون اجتماعهما

ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كانه فرد

مي وفرح

من زوج مهيأ من فرد انثى فيلتقيا لما فيه من دوام

النسل وبقائه وقبحا وخيبة وتعسا للمتحلي الفلسفة

كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة

حتى انكروا التدبير والعمد فيها لو كان فرج الرجل

مسترخيا كيف كان يصل الى قعر الرحم يفرغ النطفة

فيه ولو كان منعظا ابدا كيف كان الرجل يتقلب

في الفراش ويمشي بين الناس وشيء شاخص امامه

ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في

كل وقت من الرجال والنساء جميعا فقدر الله جل

اسمه ان يكون اكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت

ولا يكون على الرجال منه مؤونة بل جعل فيه القوة

على الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك ولان يكون

فيه من دوام النسل وبقائه الان [اعتبر] يا مفضل

بعظم النعمة على الانسان في مطعمه ومشربه

وتسهيل خروج الاذى البس من جنس [حسن] التقدير في

في بناء الدار يكون الخلاء في استر موضع منها

فهكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيا [للخلاء]

من الانسان في استر موضع منه فلم يجعله

بارزا من خلفه ولا ناشرا من بين يديه بل هو مغيب في

موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي

عليه الفخذان وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم

فتواريانه فاذا احتاج الانسان الى الخلاء وجلس

تلك الجلسة القى ذلك المنفذ منه منصبا مهيا لا

لانحدار الثقل فتبارك من تظاهرت الاؤه ولا تحصى

الاؤه ولا تحصى نعمايا [مفضل] في هذه الطواحن التي

جعل الله [ن]لنا فبعضها حداد لقطع الطعام

ويقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم

ينقص واحد من الصنفين اذا كان يحتاج اليهما
جميعا فاتمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر
والاظفار فانهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج
الى تخفيفه اولا فاولا جعلا عديمي الحس لئلا يؤلم
الانسان الاخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم الاظفار
ومما يوجد له من خلل لكان الانسان من ذلك بين
مكروهين اما ان يدع كل واحد منهما حتى يطول
فيثقل عليه واما ان يخففه بوجع والم يتألم
منه قال المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك

خلقه

خلقه الا يزيد فيحتاج الانسان الى النقصان
منه فقال عليه السلام ان الله تبارك اسمه
في ذلك على العبد نعما لا يعرفها فيحمد عليها اعلم
ان آلام البدن وادواءه يخرج بخروج الشعر
في مسامه وبخروج الاظفار من اناملها ولذلك
امر الانسان بالنورة وحلق الراس وقص الاظفار
في كل اسبوع ليسرع الشعر والاظفار في النبات
فيخرج الآلام والادواء بخروجها واذا طالا
تحيرا وقل خروجهما فاحتبست الآلام والادواء

في البدن فاحدثت عللا واوجاعا ومنع ذلك الشعر
من المواضع التي يضر بالانسان ويحدث عليه
الفساد والضرر لو نبت الشعر في العين الم يكن
سيعمي البصر ولو نبت في الفم الم يكن سينغص على
الانسان طعامه وشرابه ولو نبت في باطن
الكف الم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض
الاعمال ونبت في فرج المراة وعلى ذكر الرجل
الم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع كيف
تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة

الس

ثم ليس هذا في الانسان فقط بل تجده في البهائم
والسباع وساير المتناسلات فانك ترى اجسامها
مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية
منه لهذا السبب بعينه فتامل الخلقة كيف
تتحرز وجوه الخطاء والمضرة وتاتي بوجوه الصواب
والمنفعة ان المنانية واشباههم حين اجتهدوا
في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والابط
ولم يعلموا ان ذلك من رطوبة تنصب الى هذه
المواضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في

فى مشتبع المياه افلا ترى ان هذه المواضع استوا
اهياء ولقبول تلك الفضله من غيرها ثم ان هذه
تعدمما يحمل الانسان من مؤونه هذا البدن وتكالبفه
لما له فى ذلك من المصلحة فان اهتمامه بتنظيف
بدنه واخذ ما يغلوه من الشعر مما يكسر به شرة
ويكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه
اليه الفراغ من الاشر والبطالة الرتبى
وما فيه من المنفعة فانه جعل يجرى جريانا
دايما الى الفم ليبل الحلق واللهوات ولا يجف

فان

فان هذا المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك
الانسان ثم كان لا يستطيع ان يشبع طعاما
اذا لم يكن فى الفم بلة تنفذ تشهد بذلك المشاهد
واعلم ان الرطوبة مطية الغذاء وقد يجرى من هذه
البلة الى موضع آخر من المرة فيكون فى ذلك
صلاح تام للانسان ولو ثبت المرة لهلك الانسان
ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفه
المتفلسفين بقلة التميز وقصور العلم بقلة التمييز

لو كان بطن الانسان كهيئة القبا يفتحه الطبيب اذا شاء
فيعاين ما فيه ويدخل يده ويعالج ما اراد علاجه
الم يكن اصلح من ان يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد
لا يعرف ما فيه الا بدلالات غامضة كمثل البول
وحبس العرق وما اشبه ذلك مما يكثر فيه
الغلط والشبهه حتى ربما كان ذلك سببا للموت
فلو علم هؤلاء الجهلة ان هذا لو كان هكذا كان
اول ما فيه انه كان يسقط عن الانسان الوجل

من الامراض

من الامراض والموت كان يستشعر البقاء ويغتر بالسلامة منه
فيخرجه ذلك الى العتو والاشر ثم كانت الرطوبات التي
في البطن تترشح وتتحلب فيفسد على الانسان مقعده
ومرقده وثياب بذلته وزينته بل كان يفسد عليه
عيشه ثم ان المعدة والكبد والفؤاد انما تفعل افعالها
بالحرارة الغريزية التي جعلها محتبسة في الجوف فلو
كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر الى رؤيته
واليد الى علاجه لوصل برد الهواء الى الجوف
فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الاحشاء وكان

في ذلك هلاك الانسان فلا ترى ان كل ما تذهب
اليه الاوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطأ
وخطل فكر يا مفضل في الافعال التي
جعله في الانسان من الطعم والنوم والجماع
وما دبر فيها فانه جعل لكل واحد منها في الطباع
نفسه محرك تقتضيه يستحث به فالجوع يقتضي
الطعم الذي به حيوة البدن وقوامه والكرى
يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن واجمام
قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام

النسل

النسل وبقائه ولو كان الانسان انما يصير الى اكل الطعام
لمعرفته بحاجة بدنه اليه ولم يجد من طباعه شيئاً
يضطره الى ذلك كان خليقاً ان يتوانى عنه احياناً
بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج
الواحد الى الدواء بشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به
حتى يؤديه ذلك الى المرض والموت وكذلك لو كان
انما يصير الى النوم بالتفكر في حاجته الى راحة
البدن واجمام قواه كان عسى ان يتثاقل
عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان انما
يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد

ان يغتر عنه حتى يقل النسل او ينقطع فان من
الناس من لا يرغب فى الولد ولا يحسن ولا يحفل به
فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الافعال
التى بها قوام الانسان وصلاحه محرك من نفس
الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه واعلم ان فى
الانسان قوى اربعا قوة جاذبة تقبل
الغذاء وتورده على المعدة وقوة ممسكة
تحبس الطعام حتى تفعل فيها الطبيعة فعلها
وقوة هاضمة وهى التى تطبخه وتستخرج صفوته
وتبثه فى البدن وقوة دافعة تدفعه و
وتحدر

وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد اخذ الها
وصحة حاجتها فكر فى تقدير هذه القوى الاربعة
التى فى البدن وافعالها اليها والارب فيها وما فى
ذلك من التدبير والحكمة فلولا الجاذبة كيف يتحرك
الانسان لطلب الغذاء الذى به قوام البدن ولولا
الممسكة كيف كان يلبث الطعام فى الجوف حتى تهضمه
المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص
من الصفو الذى يغذو البدن ويسد خلله و
لولا الدافعة كيف كان الثفل الذى تخلفه الهاضمة يندفع

ويخرج اولا فاولا افلا ترى كيف وكّل الله سبحانه وتعالى
بلطف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن
والقيام بما فيه صلاحه وسامثل لك في ذلك
مثالا ان البدن بمنزلة دار الملك وله فيها حشم
وصبية قوام موكلون بالدار فواحد لاقتضاء حوائج
الحشم وايرادها عليهم واخر لقبض ما يرد
خزنه الى ان يعالج ويهيأ واخر لعلاج ذلك
وتهيئته وتفرقته واخر لتنظيف ما في الدار
من الاقذار واخراجه منها فالملك في هذا
هو الخلاق العليم

العليم ملك العالمين والدار هي البدن والحشم هي الاعضاء
والقوام هي هذه القوى الاربع ولعلك ترى ذكرنا
هذه القوى الاربع وافعالها بعد الذي وصفت فضلا
وتردادا وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة
التي ذكرت في كتب الاطباء ولا قولنا فيه كقولهم
لانهم ذكروها على ما يحتاج اليه في صناعة
الطب وتصحيح الابدان وذكرناها على ما يحتاج
اليه في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي
كالذي اوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب
من التدبير والحكمة فيها

المضروب من التدبير والحكمة فيها تامل يا مفضل
هذه القوى التي في النفوس وموقعها من الانسان
والعقل والحفظ وغير ذلك افرايت لو نقص
الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف
كانت تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه
في اموره ومعاشه وتجارته اذا لم يحفظ ما له
عليه وما اخذ وما اعطى وما راى وما
سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من احسن
اليه ممن اساء به وما نفعه مما ضره ثم
كان لا يهتدي

الطريق

لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه
عمره ولا يعتقد دينا ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع
ان يعتبر شيئا على ما مضى بل كان خليقا حقيقا
ان ينسلخ من الانسانية اصلا فانظر الى النعمة
على الانسان في هذه الخلال وكيف موقع الواحدة
منها دون الجميع واعظم من النعمة على الانسان
في الحفظ النعمة في النسيان لما سلاه احد عن
مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد ولا
استمتع لشيء من متاع الدنيا مع

مع تذكر الآفات ولا رجاء غفلة من سلطان

ولا فترة من حاسد افلا ترى كيف جعل في الانسان

الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل

له في كل منهما ضرب من المصلحة وما عسى ان يقول

الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين في

هذه الاشياء المتضادة المتباينة وقد تراها

تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة

يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع

الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره العظيم

غناه اعني الحياء

الحيا فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعدات ولم تقض

الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتحر الجميل ولم يتنكب

القبيح في شيء من الاشياء حتى ان كثيرا من الامور

المفترضة ايضا انما يفعل للحياء فان من الناس

من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم

ولم يؤد امانة ولم يعف عن فاحشة

افلا ترى كيف وفي الانسان جميع الخلال

التي فيها صلاحه وتمام امره يا مفضل

انعم الله تقدست اسماؤه به على الانسان هذا المنطق

الذى يعبّر به عمّا فى ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجه
فكره به يفهم عن غيره عمّا فى نفسه ولولا
ذلك كان بمنزلة البهايم المهملة التى لا تخبر عن
نفسها بشئ ولا تفهم عن مخبر شيئا وكذلك الكتابة
التى بها يقتدّ اخبار الماضين للباقين واخبار
الباقين للآتين وبها تخلّد الكتب فى العلوم والآ
داب وغيرها وبها يحفظ الانسان ذكر ما
يجرى بينه وبين غيره من المعاملات والحساب
ولولاه لانقطع اخبار بعض الازمنة عن بعض واخبار

الغايبين

الغايبين عن اوطانهم ودرست العلوم وضاعت
الاداب وعظم ما يدخل على النّاس من الخلل فى
امورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون الى النظر فيه
من امر دينهم وما روى لهم مما لا يسعهم جهله
ولعلك تظنّ انها مما يخلص اليه بالحيله والفطنة
وليست مما اعطيه الانسان من خلقه وطباعه
وكذلك الكلام انما هو شئ يصطلح عليه النّاس
فيجرى بينهم ولهذا صار يختلف فى الاسم المختلفة
بالسن مختلفة وكذلك الكتابة

ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها
وغيرها من ساير الكتابة التي هي متفرقه في الامم
وانما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال
لمن ادعى ذلك ان الانسان وان كان له في الامرين
جميعا فعل وحيلة فان الشئ الذي يبلغ به ذلك
الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز
وجل في خلقته فانه لو لم يكن له لسان
مهيا للكلام وذهن يهتدي به الى الامور
لم يكن ليتكلم ابدا ولو لم يكن له كف مهياة واصابع

الكتابة

الكتابة لم يكن ليكتب ابدا واعتبر ذلك من البهايم
التي لا كلام لها ولا كتابة فاصل ذلك فطرة البارى
جل وعز وما تفضل به على خلقه فمن شكر اثيب
ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فكر يا مفضل
فيما اعطى الانسان علمه وما منع فانه اعطى
علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه
صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى
بالدلايل والشواهد القايمة في الخلق ومعرفة
الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبر الوالدين واداء الامانة

ومواساة اهل الخلة واشباه ذلك مما قد يوجد
معرفته والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل
امة وموافقة او مخالفة وكذلك اعطى علم ما فيه
صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج الارضين
واقتناء الاغنام والانعام واستنباط المياه ومعرفة
العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الاسقام
والمعادن التي يستخرج منها انواع الجواهر
وركوب السفن والغوص في البحر وضروب الحيل
في صيد الوحش والطير والحيتان والتصرف في
الصناعات ووجوه

المتاجر

المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه
ويكثر تعداده مما فيه صلاح امره في هذه الدار واعطى
علم ما يصلح به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك
مما ليس في شانه ولا طاقته ان يعلمه كعلم الغيب
وما هو كائن وبعض ما قد كان ايضا كعلمه ما فوق
السماء وما تحت الارض وما في لجج البحار
واقطار العالم وما في قلوب الناس وما في
الارحام واشباه هذا مما حجب على الناس علمه
وقد ادعت طائفة من الناس هذه الامور

فابطل دعواهم وما تبيّن من خطائهم مما يقضون

عليه ويحكمون به فيما ادّعوا علمه فانظر كيف

اعطى الانسان علم جميع ما يحتاج اليه لدينه

ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره

ونقصه وكلا الامرين فيهما صلاحه تامّل الان

يا مفضل ما ستر عن الانسان علمه من مدّة

حيوته فانّه لو عرف مقدار عمره وكان قصير

العمر لم يتهنّى بالعيش مع ترقّب الموت وتوقّعه

لو قد عرف بل كان يكون بمنزلة من قد فنا ماله او قارب

الفنا

الفنا فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ما له

وخوف الفقر على الّذى يدخل على الانسان من

فناء العمر اعظم مما يدخل عليه من فناء المال

لانّ من يقلّ ماله يأمل ان يستخلف منه فيسكن

الى ذلك ومن ايقن بفناء العمر استحكم عليه الياس

وان كان طويل العمر ثمّ عرف ذلك وثق بالبقاء

وانهمك فى اللذّات والمعاصى وعمل على انّه يبلغ

من ذلك شهوته ثمّ يتوب فى اخر عمره وهذا

مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله

الا ترى لو ان عبداً لك عمل على انه يسخطك سنة
ويرضيك يوما او شهرا لم تقبل ذلك منه ولم يحل
عندك محل العبد الصالح دون ان تضمن طاعتك
وتضحك في كل الامور في كل الاوقات على تصرف
الحالات فان قلت او ليس قد تقيم الانسان
على المعصية حينا ثم يتوب فتتقبل توبته قلنا
عن ذلك شيء عسى يكون من الانسان لغلبة
الشهوات وتركها لها لقيها من غير ان تقدره
في نفسه ويبني غلبته امره الله عنده فليستغفر ويتفضل عليه

بالمغفرة

بالمغفرة فاما من قدر امره على ان يعصي ما بدا له ثم
يتوب آخر ذلك فانما يحاول خديعة من لا يخادع
بان يتسلف التلذذ في العاجل ويعد ويمني
نفسه التوبة في الآجل ولانه لا يبقى بما يعد
من ذلك فان التروع من الترفه والتلذذ ومعاناة
التوبة ولاسيما عند الكبر وضعف البدن امر صعب
ولا يؤمن على الانسان مع مدافعته بالتوبة ان
يرى حقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد

كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وقد يقدر
على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى الأجل يحل
وقد نفد المال فيبقى الدين دايما عليه فكان خير
الاشيا للانسان ان يستر عنه مبلغ عمره
فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي
فيؤثر العمل الصالح فان قلت فها هو الآن
قد استتر عنه مقدار حيوته وصار يترقب
الموت في كل ساعة يقارب الفواحش و
ينتهك المحارم قلنا

قلنا ان وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى
عليه الامر فيه فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوي
ولا ينصرف عن المساوي فانما ذلك من مرجه
ومن قساوة قلبه لا من خطاء في التدبير كما ان
الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان
المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما يامره
ولا ينتهي عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته
ولم يكن الاساءة في ذلك الطبيب بل
للمريض حيث لم يقبل منه ولئن كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعة

لا يمتنع عن المعاصي فانه لو وثق بطول البقاء
كان احرى ان يخرج الى الكبائر المقطعة فترقب
الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء
ثم ان يرقب الموت وان كان صنف من الناس
يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به
صنف اخر منهم وينزعون عن المعاصي
ويؤثرون العمل الصالح ويجودون با
الاموال والعقايل النفيسة في الصدقة
على الفقراء والمساكين فلم يكن من
العدل ان يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه

الخصلة

الخصلة ليضيع هؤلاء حظهم منها فكر في الا
حلام كيف دبر الامر فيها فمزج صادقها بكاذبها
فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم
انبياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها
منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت
تصدق احيانا فينتفع بها الناس في مصلحة
يهتدى لها او مضرة يتحرز منها وتكذب كثيرا
لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد فكر في هذه
الاشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من مآربهم

فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب
للسفن وغيرها والحجارة للارحاء وغيرها والنحاس
للاواني والذهب والفضه للمعامله والجوهر
للذخيره والحبوب للغذاء والثمار للتلذذ واللحم
للماكل والطيب للتلذذ والادويه للتصحيح والدواب
للحموله والحطب للتوقد والرماد للكلس
والرمل للارض وكم عسى لكن يحصي المحصي
هذا وشبهه ارايت لو ان داخلا دخل دارا
فنظر الى خزاين مملوه من كل ما يحتاج اليه الناس
ورای کل ما فیها مجموعا معدا لاسباب معروفه
اكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن
غير عمد فكيف يستجيز قايل ان يقول هذا في العالم
يا مفضل وما اعد فيه من هذه الاشياء اعتبر
يا مفضل باشيا خلقت لمآرب الانسان
وما فيها من التدبير فانه خلق له الحب
لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه وخلق له
الوبر لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق
الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها و

وخلقت له العقاقير الادويه فكلّف لقطها
وخلطها وصنعها وكذلك تجد ساير الاشيا
على هذا المثال فانظر كيف كفى خلقت التي لم تكن
عنده فيها حيلة او حيلته وترك عليه في كلّ
من الاشيا موضع عمل وحركة لما له في ذلك
من الصلاح لانّه لو كفى هذا كلّه حتى لا يكون
له في الاشياء موضع شغل وعمل لما حملته
الارض اشرا وبطرا ولبلغ بذلك الى ان
ان يتعاطى امورا فيها تلف نفسه ولو كف الناس

كلما

كلّما يحتاجون اليه لما تهنؤوا بالعيش ولا وجدوا
له لذة الا ترى لو انّ امرأ نزل بقوم فاقام حينا
يلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم ومشرب وخدم
لبرم بالفراغ ونازعته نفسه الى التشاغل بشيء
فكيف لو كان طول عمره مكفيا لا يحتاج الى شيء
فكان من صواب التدبير في هذه الاشياء
التي خلقت للانسان ان جعل له فيها موضع
تشغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه عن
تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه ان ناله يا مفضل

ان راس معاش الانسان وجبوة الخبز ولما

فانظر كيف دبّر الامر فيهما فانّ حاجة الانسان

الى الماء اشدّ من حاجته الى الخبز وذلك انّ

صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش

والّذى يحتاج اليه من الماء اكثر ممّا يحتاج

اليه من الخبز لانّه يحتاج اليه لشربه ووضوئه

وغسله وغسل ثيابه وسقى انعامه وزرعه

فجعل الماء مبذولا لا يشترى ليسقط عن

الانسان المؤنة فى طلبه وتكلّفه وجعل

الخبز

الخبز متعذرا لا ينال الا بالحيلة والحركة ليكون

للانسان فى ذلك شغل يكفّه عما يخرجه اليه

الفراغ من الاشر والعبث الا ترى ان الصّبى

يدفع الى المؤدب وهو طفل لو يكمل ذهنه للتعليم

كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث الذى ربّما

جنى عليه وعلى اهله المكروه العظيم وهكذا

الانسان لو خلا من الشغل لخرج من الاشر و

العبث والبطر الى ما يعظم ضرره عليه وعلى

من قرب منه واعتبر ذلك بمن نشأ فى الجدة و رفاهية

العيش والنرم والكفاية وما يحرجه ذلك اليه

اعتبر لم يتشابه الناس واحد بالاخر كما تتشابه البهيم

الوحوش والطير وغير ذلك فانك ترى السرب

من الظبا والقطاء يتشابه حتى لا تفرق بين واحدة

منها وبين الاخرى وترى الناس مختلفة صورهم

وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة

واحدة والعلة في ذلك ان الناس محتاجون

الى ان يتعارفوا باعيانهم وحلاهم لما يجري

بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل

ذلك

ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد منهما بعينه وحليته

الا ترى ان التشابه في الطير والوحش لا يضرها

شيئا وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه

التوامان تشابها شديدا فتعظم المؤنة على

الناس في معاملتهما حتى يعطى احدهما ما الاخر

ويؤخذ احدهما بذنب الاخر وقد يحدث مثل

هذا في تشابه الاشياء فضلا عن تشابه

الصور فمن لطف بعباده بهذه الدقايق التي

لا يكاد يخطر بالبال حتى وقفها على الصواب الا من

وسعت رحمته كل شيء لو رايت تمثال الانسان
مصورا على حائط فقال ان هذا اظهر ههنا
من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع اكنت تقبل
ذلك بل كنت تستهزا به فكيف تنكر هذا في تمثال
الانسان مقصور الجماد ولا تنكر في الانسان الناطق
لم صارت ابدان الحيوان وهي تغتذي ابدا لا تنمى
بل تنتهي الى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها
لولا التدبير في ذلك فان من تدبير الحكيم فيها
ان يكون ابدان كل صنف منها على مقدار معلوم

غير

غير متفاوت في الكبير والصغير وصارت تنمى
حتى تصل الى غاياتها ثم تقف ثم لا تزيد والغذاء
مع ذلك دائم لا ينقطع ولو كانت تنمى نموا دائما
لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا
يكون للشيء منها حد يعرف لم صارت اجسام
الانس خاصة تثقل عن الحركة والمشي وتجفو عن
الصناعات اللطيفة الا لتعظم المؤنة فيما يحتاج
اليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير
ذلك لو كان الانسان لا يصيبه الم ولا وجع

وجع لم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله
وينعطف على النّاس ما ترى الانسان اذا
عرض له وجع واستكان ورغب الى ربّه
في العافيه وبسط يده بالصدقه ولو كان لا
يالم من الضرب لم كان السلطان يعاقب الدّعار
ويذل العصاة المردة ولم كان الصبيان يتعلمون
العلوم والصناعات ولم كان العبيد يذلّون
لاربابهم ويذعنون لطاعتهم افليس هذا
توبيخ لابن ابي العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير
والمنانية

والمنانية الذين انكروا الالم والوجع لو لم يولد من
الحيوان الا ذكر فقط لم يكن النسل منقطعا
وباد مع ذلك اجناس الحيوان فصار بعض الا
ولاد ياتي ذكورا وبعضها ياتي اناثا ليدوم
التّناسل ولا ينقطع لم صار الرجل والمرءة اذا
ادركا تنبت لهما العانة ثم تنبت اللحية للرّجل و
تخلف عن المراة لولا التدبير في ذلك فانّه
لما جعل الله تبارك وتعالى الرّجل قيّما ورقيبا
على المرئة وجعل المرئة عرسا وخولا للرّجل اعطى

الرجل اللحيه لماله العز والجلاله والهيبة

ومنعها المراة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة

التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة افلا ترى

الخلقة كيف تاتي بالصواب في الاشياء

وتتخلل مواضع الخطاء فتعطي وتمنع على

قدر الارب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل

قال المفضل ثم حان وقت الزوال فقام مولاي

الى الصلوة وقال بكر الي غدا ان شاء الله

فانصرفت من عنده مسرورا بما عرفنيه مبتهجا

بما اوتيته

بما اوتيته حامدا الله عز وجل على ما انعم

به علي شاكرا لانعمه على ما منحني مما

عرفنيه مولاي وتفضل به علي فبت ليلتي

مسرورا بما منحنيه محبورا بما علمنيه تم المجلس

الاول ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الادله

على الخلق والتدبير وعلى القائلين بالاهمال

ومنكري العمد برواية المفضل عن الصادق صلوات الله

قال المفضل فلما كان اليوم

بكرت الى مولاي فاستوذن لي فدخلت

بكّرت الى مولاى فاستودن لى فدخلت
فامرني بالجلوس فجلست فقال الحمد لله
مدبّر الادوار ومعيد الاكوار طبقا عن
طبق عالما بعد عالم ليجزي الذين اساؤا بما
عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى عدلا
منه تقدّست اسمائه وجلّت الاؤه لا يظلم
النّاس شيئا ولكنّ النّاس انفسهم يظلمون يشهد
بذلك قوله عزّ وجل قدسه فمن يعمل مثقال
ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة
شرّا

شرا يره وفي نظايرها في كتابه الّذي فيه تبيان كلّ
شئ ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد كذلك قال السيد محمد
صلوات الله عليه وعلى آله انّما هي اعمالكم
تردّ اليكم ثمّ اطرق هنيئة ثمّ قال يا مفضّل الخلق
حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يتردّدون
ولشياطينهم وطواغيتهم يقتدون بصراء
عمى لا يبصرون ونطقاء بكم لا يعقلون سمعاء
صمّ لا يسمعون رضوا بالدّون وحسبوا انهم

مهتدون حادوا عن محجة الاكياس ورتعوا

في مرعى الارجاس الانجاس كانهم من مفاجات

الموت آمنون وعن المجازات مزحزحون يا ويلهم

ما اشقاهم واطول عناءهم واشد بلاءهم

يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا

من رحم الله قال المفضل فبكيت لما سمعت منه

فقال لا تبك تخلصت اذ قبلت ونجوت اذ عرفت

ثم قال عليه السلام ابتدئ لك بذكر الحيوان ليتضح

لك من امره ما وضح لك من غيره يا مفضل

بلغ ١٤

في ابنية ابدان الحيوان وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي

صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تنصرف في

الاعمال ولا هي على غاية اللين والرخاوة فكانت

لا تتحامل ولا تستقل بانفسها فجعلت من لحم رخو ينثني

تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق تشده وتضم

بعضه الى بعض وعليت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله

ومن اشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان

وتلف بالخرق وتشد بالخيوط وتطلى فوق ذلك بالصمغ

فيكون العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم

والخيوط بمنزلة العصب والعروق والطلاوة بمنزلة الجلد فان
جاز ان يكون الحيوان المتحرك حدث بالاهمال من غير صانع
جاز ان يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة فان كان هذا
غير جائز في التماثيل فبالحرى ان لا يجوز في الحيوان
بعد هذا في اجساد الانعام فانها حين خلقت على ابدان الانس
من اللحم والعظم والعصب اعطيت ايضا السمع والبصر ليبلغ الانسان
حاجته فانها لو كانت عميا صما لما انتفع بها الانسان
ولا تصرفت في شيء من مآربه ثم منعت الذهن والعقل لتذل
للانسان فلا تمتنع عليه اذا كدها الكد الشديد وحملها الحمل

التثقيل

التثقيل فان قال قائل انه قد يكون للانسان عبيد من الانس
يذلون ويذعنون بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل
والذهن فيقال في جواب ذلك ان هذا الصنف في الناس قليل
فاما اكثر الناس فلا يذعنون بما يذعن به الدواب من الحمل
والطحن وما اشبه ذلك ولا يفرون بما يحتاج اليه منه
ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم لاشتغلوا بذلك
عن ساير الاعمال لانه كان يحتاج مكان الجمل الواحد
الى عدة اناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم
عنه فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقهم من التعب الكلب

الفارج في ابدانهم والضيق والكد في معاشهم يا مفضل
في هذه الاصناف الثلاثة من الحيوان ادفى خلقها على ما هي عليه
بما فيه صلاح كل واحد منها فالانس لما قدر ان يكونوا ذوي
ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة
والصياغة وغير ذلك خلقت لهم الاكف كبارا ذوات اصابع غلاظ
ليتمكنوا من القبض على الاشياء واوكدها هذه الصناعات
واكلات اللحم لما قدر ان يكون معايشها من الصيد خلقت لهم الكف
لطاف مدمجة ذوات براثن ومخالب تصلح لاخذ الصيد ولا تصلح
للصناعات واكلة النبات لما قدر ان يكونوا لا ذات صنعة

ولا ذات

ولا ذات صيد خلقت لبعضها اظلاف تقيها خشونة الارض
اذا حاولت طلب الرعي ولبعضها حوافر مململة ذوات قعر كاخمص
القدم تنطبق على الارض لتتهيأ للركوب والحمولة
التدبير في خلق اكلات اللحم من الحيوان حين جعلت ذوات
اسنان حداد وبراثن شداد واشداق وافواه واسعة
فانه لما قدر ان يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل
ذلك واعينت بسلاح وادوات تصلح للصيد وكذلك تجد
سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيأة لفعلها ولو كانت
الوحوش ذوات مخالب كانت قد اعطيت ما لا يحتاج اليه

لانها لا تصيد ولا تاكل اللحم ولو كانت السباع ذوات اظلاف

كانت وقد منعت ما يحتاج اليه اعني الصلاح الذي به تصيد

وتعيش افلا ترى كيف اعطى كل واحد من الصنفين ما تشاكل

صنفه وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه   الآن

الى ذوات الاربع كيف تراها تتبع امهاتها مستقلة بانفسها

لا تحتاج الى الحمل والتربية كما تحتاج اولاد الانس فمن

اجل انه ليس عند امهاتها ما عند امهات البشر من الرفق

في العلم بالتربية والقوة عليها بالاكف والاصابع المهيأة

لذلك اعطيت النهوض والاستقلال بانفسها وكذلك

ترى

ترى كثيرا من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج

تدرج وتلقط حتى تنقاب عنها البيض فاما ما كان منها

ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمرا فقد

جعل في الامهات فضل عطف عليها فصارت تمج الطعام

في افواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها

حتى تستقل بانفسها وكذلك لم يرزق الحمام فراخا كثيرة

مثل ما يرزق الدجاج لتقوى الام على تربية فراخها

فلا يفسد ولا يموت فكل اعطى بقسط من تدبير الحكيم اللطيف

الخبير   الى قوائم الحيوان كيف تاتي ازواجا لتتهيأ

للمشي ولو كانت افراداً لم تصلح لذلك لان الماشي ينقل
بعض قوايمه ويعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل
واحدة ويعتمد على واحدة وذو الاربع ينقل اثنين
ويعتمد على اثنين وذلك من خلاف فلان ذا الاربع
لو كان ينقل قايمتين احد جانبيه ويعتمد على قايمتين
من الجانب الاخر لما يثبت على الارض كما لا يثبت السرير
وما اشبهه وصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى
من ماخيره وينقل الاخريين ايضا من خلاف فيثبت
على الارض ولا يسقط اذا مشى اما ترى الحمار كيف يذل



للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما والبعير
لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي
والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير
على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف والاسنة
بالمواتاة لفارسه والقطيع الغنم يرعاه رجل واحد
ولو تفرقت الغنم فاخذ كل واحد منها في ناحيته لم يلحقها
وكذلك جميع الاصناف المسخرة للانسان فبم كانت كذلك
الا بانها عدمت العقل والروية فانها لو كانت تعقل
وتروي في الامور كانت خليقة ان تلتوي على الانسان

التي يحميها ويخفرها   تامّل وجه الدابّة كيف

هو فانّك لا ترى العينين شاخصين امامها

حفرة
في

ليبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطا او تتردى

ن
سفل

وترى الفم مشقوقا شقا في اسفل الخطم ولو شقّ لها

الفم من الانسان في مقدم الذقن لما استطاع ان

نسان

يتناول به شيئا من الارض الا ترى ان الا

الاكلة

لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر

خطمها

فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل

اعنيت

مشقوقا من اسفل لتقبض به على العلف ثم تقضمه



المنفذ

بالجحفلة لتتناول بها ما قرب وما بعد   بذنبها و

لهما

لها فيها فائدة بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعا يوارية

البطن

وليسترهما ومن منافعها فيه ان ما بين الدبر ومراق

منكا

منها وضع يجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب

تستريح

لمذبة يذب بها عن ذلك الموضع ومنها ان الدابة

الى تحريكه يمنة ويسرة فانه لما كان قيامها

التصرف

على اربع باسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن

وفيه منافع

والتقبل كان لها في تحريك الذنب راحة وفيه منافع

اليها

اخرى يقصر عنها الوهم يعرف موقعها في وقت الحاجة [illegible]

فمن ذلك ان الدابة تورطت في الوحل فلا يكون شئ

اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها وفي شعر الذنب

ها

منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ثم جعل ظهر

حياها

مطحا مبطوحا على قوائم اربع ليتمكن من ركوبها وجعل

اسفل

بادزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان

انه

البطن لكان الفرج من المراة لم يتمكن الفحل منها الا ترى

مسفر

لا يستطيع ان ياتيها كفاحا كما ياتي الرجل المراة

تناول

الفيل وما فيه من لطف التدبير فانه يقام مقام اليد في

استطاع

العلف والماء وان وداهما الجوف ولولا ذلك ما

ان يتناوله

ان يتناول شيئا من الارض لانه ليست له رقبة يمد ها

طوم

كساير الانعام فلما عدم العنق اعين مكان ذلك بالخرطوم

العضو

الطويل ليدله فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان

العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه الا الرؤف بخلقه وكيف يكون

هكذا بالاهمال كما قالت الظلمة فان قال قائل فما باله لم

و

يخلق ذا عنق كساير الانعام قيل له ان راس الفيل

لحدتها

اذنيه امر عظيم وثقيل فلو كان ذلك على عنق عظيمة

ما

واوهنها فجعل راسه ملصقا بجسمه لكيلا ينال منه

به

وصفنا وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول

غذاه فصار مع عدم العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته
بطنها
الان كيف حياء الانثى من الفيلة في اسفل
فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من
ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الانثى من الفيلة على خلاف
ليتهيأ
ما عليه في غيرها من الانعام ثم جعلت فيه هذه الخلة
رافة
للامر الذي فيه قوام النسل ودوامه في خلق الز
واختلاف اعضائها وشبهها باعضاء اصناف من الحيوان
بقرة
فراسها راس فرس وعنقها عنق جمل واظلافها اظلاف
نتاجها
وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل ان

من فحول

من فحول شتى قالوا وسبب ذلك ان اصنافا من حيوان البر اذا
وردت الماء تنزو على بعض السائمة وتنتج مثل هذا الشخص الذي
هو كالملتقط من اصناف شتى وهذا جهل من قائله وقلة معرفته
الفرس
البارئ جل قدسه وليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا
الحيوان
يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح من بعض
البغل
فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمار فيخرج بينهما
ويلقح الذئب الضبع فيخرج من بينهما السمع على انه ليس يكون في
الذي يخرج من بينهما عضو من كل واحد منهما كما في الزرافة
عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من البقر بل يكون كالمتوسط

بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فانك ترى رأسه
واذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الاعضاء
من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار
فهذا دليل على انه ليست الزرافة من لقاح اصناف شتى
من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله
للدلالة على قدرته لا يعجزها شيء وليعلم انه خالق اصناف
الحيوان كلها يجمع بين ما يشاء من اعضائها في ايها شاء
ويفرق ما شاء منها في اي شاء ويزيد في الخلقة ما يشاء وينقص
منها ما يشاء دلالة على قدرته على الاشياء وانه لا يعجزه شيء

اراده

اراده جل تعالى فاما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك
فان منشاها ومرعاها في غياطل ذوات اشجار شاهقة ذاهبة
طولاً في الهواء فهي تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها اطراف
تلك الاشجار فتتقوت من ثمارها خلقه وشبهه الانسان
في كثير من اعضائه اعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك
احشاؤه ايضاً شبيهة باحشاء الانسان وخص مع ذلك بالذهن
والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي اليه ويحكي كثيراً
مما يرى الانسان يفعله حتى انه يقرب من خلق الانسان وشمائله
في التدبير في خلقته على ما هي عليه ان يكون عبرة للانسان

فی نفسه فیعلم انه من طینة البهایم وسنخها اذ کان تعرب
من خلقها هذا القرب انه لولا فضیلة فضله بها فی الذهن
والعقل والنطق کان کبعض البهایم علی ان فی جسم القرد
فصولا اخری لفرق بینه وبین الانسان کالخطم والذنب
المسدل والشعر المجلل للجسم کله وهذا لم یکن مانعا للقرد من
یلحق بالانسان لو اعطی مثل ذهن الانسان وعقله ونطقه والفضل الفاصل
بینه وبین الانسان بالصحة وهو النقص فی العقل والذهن والنطق
یا مفضل الی لطف الله جل اسمه بالبهایم کیف کسیت اجسامهم
هذه الکسوة من الشعر والوبر والصوف لتقیها من البرد وکثرة الآفات

والبست الاظلاف

والبست الاظلاف والحوافر والاخفاف لتقیها من الحفا اذا کانت
لا ایدی لها ولا اکف ولا اصابع مهیئات للغزل والنسج
فکفوا بان جعل کسوتهم فی خلقتهم باقیة علیهم ما بقوا
لا یحتاجون الی تجدیدها والاستبدال بها فاما الانسان
فانه ذو حیلة وکف مهیئاة للعمل فهو ینسج ویغزل ویتخذه
لنفسه الکسوة ولیستبدل بها حالا بعد حال وله فی ذلک
صلاح من جهات من ذلک انه لیشتغل بصنعة اللباس
عن العبث وما یخرجه الیه الکفایة ومنها انه لیستریح
الی خلع کسوته اذا شاء ولبسها اذا شاء ومنها ان یتخذ

لنفسه من الكسوة ضربا لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها
وتجديدها وكذلك تجد بالرفق من الصنعة ضربا من
الخفاف والنعال التي بها تقي قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله من
الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم ومنها اقواتهم و اقوات
عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة
والاظلاف والحوافر والاخفاف مقام الحذاء يا مفضل
خلقة عجيبة جعلت في البهائم فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا
كما يواري الناس موتاهم والا فاين جيف هذه الوحوش
والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى

لقلتها

لقلتها بل لو قال قايل انها اكثر من الناس لصدق فاعتبر
ذلك مما تراه في الصحاري والجبال من اسراب الظباء والمها
والحمير والوعول والايل وغير ذلك من الوحوش و اصناف
السباع من الاسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها
وضروب الهوام والحشرات ودواب الارض وكذلك اسراب
الطير من الغربان والقطا والاوز والكراكي والحمام و
سباع الطير جميعا وكلها لا يرى منها اذا ماتت الا الواحد
بعد الواحد يصيده قانص او يفترسه سبع فاذا احسوا
بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولولا ذلك

الامتلاوات الصحاري منها حتى تفسد رايحة الهواء و

تحدث الامراض والوبا الى هذه الله يخلص اليه

الناس وعلوم بالتمثيل الاول الذي مثل لهم كيف جعل طبقا

وان كان في البهايم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما تحدث

عليهم من الامراض والفساد يا مفضل في الفطن التي

جعل في البهايم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفا من الله عز

وجل لهم لئلا يخلوا من نعمه جل وعز احد من خلقه ودنيه

فان الابل ياكل الحيوة فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب

الماء خوفا من ان يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير

وهو

وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه

ولو شرب لمات من ساعته اي ما جعل من طباع

هذه البهيمة من الوعل الظماء الغالب خوفا من المضرة في

الشرب وذلك مما لا يكاد الانسان العاقل المميز يضبطه

من نفسه والثعلب اذا اعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه

حتى يحسبه الطير ميتا فاذا وقعت عليه لتنهشه وثب

عليها فاخذها فمن اعان الثعلب عديم النطق والروية

بهذه الحيلة الامن توكل هو حيلة الرزق له من هذا

وشبهه فانه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما تقوى

عليه السماع من مساورة المواثبة الصيد عن بالدهاء

والفطنة والاحتيال للمعاش والدلفين يلتمس صيد

الطير فتكون حيلته في ذلك ان ياخذ السمك فيقتله

ويسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء

الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فاذا وقع الطير على السمك

الطافي وثب اليها فاصطادها   الحيلة الى هذه

كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة لبعض المصلحة قال

فقلت خبرني يا مولاي عن التنين والسحاب فقال عليه السلام

ان السحاب كالموكل به يختطفه حيثما يثقفه كما يختطف

حجر المقناطيس

حجر المقناطيس الحديد فهو لا يطلع راسه في الارض خوفا

من السحاب ولا يخرج الا في القيظ مرة واذا اصحت السماء

فلم تكن فيها نكتة من غيمة قلت فلم وكل السحاب بالترصد للتنين

ويختطفه اذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرته قال

المفضل فقلت قد وصفت لي يا مولاي من امر البهائم ما فيه

معتبر لمن اعتبر وصف لي الذرة والنمل والطير فقال عليه السلام

يا مفضل تامل في وجه الذرة الا من التدبير القائم في صغير

الخلق وكبيره   الى النمل واحتشاده في جميع القوت واعداده

فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة

الصغير القصفر هل عجب فيها انقصا ما فيه صلاحها فمن ابين هذا التقدير والخلق العجيب ان خلق الله

من الناس ينقلون الطعام او غيره بل للنمل في ذلك

نون
من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله اما تراهم يتعاد

الحب
على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون الى

بدى
فيقطعونه قطعا لكيلا ينبت فيفسد عليهم فان اصابه اخرجوه

الارض
فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية الا في نشز من

كي لا يفيض السيل فيغرقها فكل هذا منه بلا عقل ولا روية

هذ
بل خلقة خلق عليها لمصلحة لطفا من الله عز وجل الى

من
الذي يقال له الليث وتسميه العامة اسد الذباب وما اعطي

قد
الحيلة والرفق في معاشه فانك تراه حين يحس بالذباب

قد وقع قريبا منه تركه مليا حتى كانه موات لا حراك به

دقيقا
فاذا راى الذباب قد اطمان وغفل عنه دب دبيبا

حتى يكون منه بحيث يناله وثبه ثم يثب عليه فياخذه فاذا

يزال
اخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة ان ينجو منه فلا

عليه
قابضا عليه حتى يحس بانه قد ضعف واسترخى ثم يقبل

فيتخذه
فيفترسه ويحيا منه فاما العنكبوت فانه ينسج ذلك

شركا ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فاذا نشب فيه

الذباب جال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش

الاشراك
بذلك منه فذلك يحكي صيد الكلاب والفهود وهذا اصيد

والحبايل الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في

طبعها ما لا يبلغه الانسان الا بالحيلة واستعمال الآلات

فيها فلا تزدر بالشيء اذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة

والنملة وما اشبه ذلك فان المعنى النفيس قد يمثل بالشيء

الحقير فلا يضعه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب

ان يوزن بمثقال من حديد يا مفضل جسم الطاير

وخلقته فانه حين قدر ان يكون طائرا في الجو خفف

جسمه وادمج خلقه فاقتصر به من القوايم الاربع على اثنتين

ومن الاصابع الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول

على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه ان

يخرق الهواء كيف ما اخذ فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة

لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات

طوالا متانا لينهض بها للطيران وكسي كله الريش ليتداخله

الهواء فيقله ولما قدر ان يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا

مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقار صلب جاس يتناول

طعمه فلا ينسحج من لقط الحب ولا ينقصف من نهش اللحم ولما عدم

الاسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا اعين بفضل

حرارة في الجوف يطحن له اللحم طحنا ليستغني به عن المضغ

ذلك بان عجم العنب وغيره يخرج من اجواف

الانس صحيحا ويطحن من اجواف الطير لا يرى له اثر ثم جعل

مما يبعض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران

فانه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته

وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلا

للامر الذي قدر ان يكون عليه ثم صار الطائر السائح

في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه اسبوعا وبعضها اسبوعين

وبعضها ثلثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة

ثم يقبل عليه فيزقه الريح ليتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه

بما يعيش

بما يعيش به فمن كلفه ان يلقط الطعم ويستخرجه بعد ان يستقر

في حوصلته ويغذو به فراخه ولاي معنى يحتمل هذه المشقة و

ليس بذي روية ولا يفتكر ولا يامل الانسان من ولده

من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا من فعل يشهد بانه

معطوف على فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام

وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره الى الدجاجة كيف

تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر

موطى بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي وتمتنع من الطعم

حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلما كان ذلك منها الا

لاقامة النسل ومن اخذها باقامة النسل ولا روية

ولا تفكر لولا انها مجبولة على ذلك في خلق البيضة

فيما فيها من المح الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق

فبعضه لينشو منه الفرخ وبعضه ليغتذى به الى ان

تنقاب عنه البيضة وما فى ذلك من التدبير فانه

لو كان نشو الفراخ فى تلك العشرة المستحصفة التى

لامساغ لشىء اليها لجعل معه فى جوفها من الغذاء

ما يكتفى به الى وقت خروجه منها كمن يحبس فى

حصين لا يوصل الى من فيه فيجعل معه من القوت

ما يكتفى

به الى وقت خروجه منه فى حوصلة الطاير

وما قدر له فان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ

فيه الطعام الا قليلا قليلا فلو كان الطاير لا يلقط

حبة ثانية حتى يصل الاولى الى القانصة لطال عليه

متى كان يستوفى طعمه وانما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر

فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليوعى فيها

ما ادرك من الطعم بسرعة ثم ينفذه الى القانصة

فى مهل وفى الحوصلة ايضا حيلة اخرى فان من الطاير

ما يحتاج الى ان يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب

اسهل عليه قال المفضل فقلت عن قوما من المعطلة

يزعمون ان اختلاف الالوان والاشكال في الطير

انما يكون من قبل امتزاج الاختلاط واختلاف مقاديرها

بالمرج والاهمال فقال عليه السلام يا مفضل هذا الوشي

تراه في الطواويس والدراج والتدارج على استواء

ومقابلة كنحو ما يخط بالاقلام كيف ياتي به الامتزاج

المهمل على شكل واحد لا يختلف لو كان بالاهمال لعدم

الاستواء ولكان مختلفا ريش الطير كيف هو

فانك تراه منسوجا كنسج الثوب من سكو لدقاق

قد الف

قد الف بعضه على بعض كتاليف الخيط الى الخيط والشعرة

الى الشعرة ثم ترى ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا

ولا ينشق لتداخله الريح فيقل الطاير اذا طار وترى

في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه الذي

هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي هو وهو

مع ذلك اجوف ليخف على الطاير ولا يعوقه عن الطيران

هل رايت يا مفضل هذا الطاير الطويل الساقين وعرف

ما له من المنفعة في طول ساقيه فانه اكثر ذلك في ضحضاح

من الماء فتراه بساقين طويلين كانه ربيئة فوق مرقب

وهو يتأمل ما يدب في الماء فاذا رأى شيئا مما يتقوت
به خطا خطوات رفيقا حتى يتناوله ولو كان قصير
الساقين كان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء
فيثور ويذعر منه فيتفرق عنه فخلق له العمودان
ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه ضربا من التدبير
في خلق الطائر فانك تجد كل طائر طويل الساقين طويل
العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الارض ولو كان
طويل الساقين قصير العنق لما استطاع ان يتناول
شيئا من الارض وربما اعين مع طول العنق بطول المناقير

ان ذا الامر

ان ذا الامر عليه بهولة ولد امكانا افلا ترى انك لا تفتش
شيئا من الخلقة الا وجدته على غاية الصواب والحكمة
الى العصافير كيف تطلب اكلها بالنهار فهي لا تفقده ولا
هي تجده مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب وكذلك
الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف قوته فلم يجعل مما لا
يقدر عليه اذ جعل بالخلق حاجة اليه ولم يجعل مبذولا
ينال بالهوينا اذ كان لا صلاح في ذلك فانه لو كان
يوجد مجموعا معدا كانت البهائم تنقلب عليه ولا تنقلع عنه
حتى تبشم فتهلك وكان الناس ايضا يصيرون بالفراغ

الى غاية الاشر والبطر حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش

اعلمت ما طعم هذه الاصناف من الطير التي لا تخرج الا

بالليل كمثل البوم والهام والخفاش قلت لا يا مولاي قال عليه السلام

ان معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجو من البعوض والفراش

واشباه الجراد واليعاسيب وذلك ان هذه الضروب مبثوثة

في الجو لا يخلو منها موضع ذلك بانك اذا وضعت

سراجا بالليل في سطح او عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء

كثير فمن اين ياتي ذلك كله الا من القرب فان قال قائل

انه ياتي من الصحارى والبراري قيل له كيف يوافي تلك الساعة

من موضع

من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار

محفوفة بالدور فيقصد اليه مع ان هذه عيانا تتهافت

على السراج من قرب فيدل ذلك على انها منتشرة في كل

موضع من الجو فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذا خرجت

فتقوت بها * كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج

الا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الارض واعرف مع

ذلك المعنى في خلق هذه الضروب التي عسى ان يظن ظان انها

فضل لا معنى له خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير

وذوات الاربع بل هو الى ذوات الاربع اقرب وذلك انه

ذو اذنين ناشزتين واسنان ودبر وهو يلد ولدا
ويرضع ويبول ويمشي اذا مشى على اربع وكل هذا خارق
صفة الطير ثم هو ايضا مما يخرج بالليل ويتقوت بما يسري
في الجو من الفراش وما اشبهه وقد قال يكون انه لا طعم
للخفاش وان غذاه من النسيم وحده وذلك عندي يبطل
من جهتين احدهما خروج ما يخرج منه من الثفل والبول
فان هذا لا يكون من غير طعم والاخرى انه ذو اسنان
ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للاسنان فيه معنى وليس في الخلقة
شيء لا معنى له واما الادب فيه فعرفه حتى ان ذلة مدخل

في بعض

في بعض الاعمال ومن اعظم الادب فيه خلقة العجيبة
الدالة على قدرة الخالق جل ثناؤه وتصرفها فيما شاء
كيف شاء لضروب المصالح فاما الطير الصغير الذي يقال
له ابو عمرة فقد عشش في بعض الاوقات في بعض الشجر فنظر
الى حية عظيمة قد اقبلت نحو عشه فاغرة فاها لتبتلعه
فبينا هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها اذ وجد حسكة
فحملها فالقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوي وتتقلب
حتى ماتت افرايت لو لم اخبرك بذلك كان يخطر ببالك
او ببال غيرك انه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة

او يكون من طاير حقير او كبير مثل هذه الحيلة اعتبر
الاعدا
بهذا وكثير من الاشياء يكون فيها منافع لا يعرف
حتشاره
عجاوث عجيبة والحين يسمع مد الى النحل وا
ذلك
في
في صنعة العسل وهيئة البيوت المدسة وما يرى
عجيبا
من دقايق الفطنة فانك اذا تاملت العمل رايته
من
لطيفا واذا رايت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه
هذاه
الناس واذا رجعت الى الفاعل الفينه غنيا جا
ان
بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففي هذا اوضح الدلالة على
الذي
ان الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هـ

طبعه

الجراد
الى هذه
طبعة عليها وشجرة فيها لمصلحة الناس
ما اضعفه واقواه فانك اذا تاملت خلقه رايته
البلاد
ن
كاضعف الاشياء وان كلفت عساكر نحو بلد من
الملوك
لم يستطع احد ان يحمد منه الا ترى ان ملكا من
الارض لو جمع خيله ورجله ليحمى بلاده من الجراد لم
ان
يقدر على ذلك افليس من الدلايل على قدرة الخالق
يبعث اضعف خلقه الى اقوى خلقه فلا يستطيع دفعه
السهل
فيغشى
اليه كيف ينساب على وجه الارض مثل السيل
فلو كان
والجبل والبدو والحضر حتى يحجب يستر نور الشمس بكثرته

هذا انما يصبح بالايدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة
القدرة
وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدل بذلك على
التي لا يؤدها شي ولا يكبر عليها   خلق السمك
غير
ومشاكلته للامر الذي قدر ان يكون عليه فانه خلق
ذي قوايم لانه لا يحتاج الى المشي اذ كان مسكنه
يتنفس
الماء وخلق غير ذي رية لانه لا يستطيع ان
اجنحة
وهو منغمس في اللجة وجعلت له مكان القوايم
يف
شدادا يضرب بهما في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاذ
خلقه
من جانبي السفينة وكسي جسمه قشورا متانا متدا

كتداخل

كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الافات
واعين بفضل حس في الشم لان بصره ضعيف والماء
يحجبه فصار يشم الطعم من البعيد البعيد فينتجعه والا
منافذ
فكيف يعلم به وبموضعه واعلم ان من فيه الى صماخيه
ذلك
فهو يعب الماء بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح الى
كما يتروح غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم
في
الان في كثرة نسله وما خص به من ذلك فانك ترى
ذلك
جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في

ان يتسع لما يغتذى به من اصناف الحيوان فان اكثرها
تاكل السمك حتى ان السباع ايضا في حافات الآجام
عاكفة على الماء ايضا كي يرصد السمك فاذا مر بها خطفته
فلما كانت السباع ياكل السمك والطير ياكل السمك و
الناس ياكلون السمك والسمك ياكل السمك كان من
التدبير فيه ان يكون على ما هو عليه من الكثرة فاذا اردت
ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر الى
ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والاصداف
والاصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها الا الشيء بعد الشيء

يدركه

يدركه الناس باسباب تحدث مثل القرمز فانه انما عرف
الناس صبغه بان كلبة تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئا
من الصنف المسمى بالحلزون فاكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس
الى حسنه فاتخذوه صبغا واشباه هذا مما يقف الناس
عليه حالا بعد حال وزمانا بعد زمان قال المفضل
وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلوة وقال بكروا الي غدا
انشاء الله فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا
بما منحنيه حامدا لله على ما اتانيه فبت ليلتي مسرورا
قال المفضل فلما كان اليوم الثالث بكرت

الى مولاى فاستوذن لي بالدخول فدخلت فاذن لي با
لجلوس فجلست فقال عليه السلام الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف
علينا اصطفانا بعلمه وايدنا بحلمه من شذ عنا فالنار ماواه
ومن تفيأ بظل دوحتنا فالجنة مثواه قد شرحت لك يا مفضل
خلق الانسان وما دبر به وتنقله في احواله وما فيه من الاعتبار
وشرحت لك امر الحيوان وانا ابتدئ الان بذكر السماء
والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر والبرد
والرياح والجواهر الاربعة الارض والهواء والنار والمطر
والصخر والجبال والطين والحجارة والمعادن والنبات

والنخل

والنخل والشجر وما في ذلك من الادلة والعبر في
لون السماء وما فيه من صواب التدبير فان هذا اللون اشد
الالوان موافقة للبصر وتقوية حتى ان من صفات الاطباء لمن
اصابه شيء اضر ببصره ادمان النظر الى الخضرة وما قرب منها
الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع في ا
جانة خضراء مملوءة ماء كيف جعل الله جل وتعالى اديم
السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد ليمسك الابصار المتقلبة
عليه فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي ادركه
الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغا منه في الخلقة

حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون قاتلهم الله
انى يؤفكون يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها لاقامة
دولتي النهار والليل فلولا طلوعها لبطل امر العالم كله فلم يكن
الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا مظلمة
عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه
فالارب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب في ذكره و
الزيادة في شرحه بل تامل المنفعة في غروبها فلولا غروبها
لم يكن للناس هدو ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدو
والراحة لسكون ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة



لهضم الطعام وتنفيذ الغذا الى الاعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من
مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في ابدانهم فان
كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدو
ولا قرار حرصا على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الارض
الارض تستحمي بدوام الشمس بضيائها وتحمي كل ما عليها من حيوان و
نبات فقدرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتا وتغرب وقتا
بمنزلة سراج يرفع لاهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم تغيب عنهم
مثل ذلك ليهدءوا ويقروا فصار النور والظلمة مع تضادهما
منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه

نعنة
لبعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الا
فع
الاربعة من السنة وما فيه ذلك من التدبير والمصلحة
الشتا تغور الحرارة في الشجرة والنبات فيتولد فيهما
لتشتدا
مواد الثمار ويستكشف الهوا فينشو منه السحاب والمطر و
ابدان الحيوان ويقوى وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد
للسفاد
المتولدة في الشتا فيطلع النبات وتنور ويهيج الحيوان
بدان
وفي الصيف يحتدم الهوا فتنضج الثمار وتنحل فضول الا
يصفوا
ويجف الارض فتتهيا للبنا والاعمال وفي الخريف
فيه
الهوا وترتفع الامراض وتصح الابدان ويمتد الليل فيمكن

بعض

بعض الاحوال لطوله ويطيب الهوا فيه الى مصالح اخرى
في
لو تقصت لذكرها لطال فيها الكلام الان
السنة
تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لاقامة دور
منذ
وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي نصح بها الان
الاربعة من السنة الشتا والربيع والصيف والخريف
الشمس
ويستوفيها على التمام وفي هذا المقدار من دوران
فتستانف
يدرك الغلات والثمار وينتهي الى غاياتها ثم يعود
الحمل
النشو والنمو لان السنة مقدار مسير الشمس من
العالم
الى الحمل فيا السنة واحوالها بكمال الى ما من لدن خلق الله

الى كل وقت وعصر من غابر الايام وبها يحسب الناس الاعمار
والاوقات الموقتة للديون والاجارات والمعاملات وعني
ذلك من امورهم وبمسير الشمس تكمل السنة وتقوم حسبانات
الزمان على الصحة التي يرجعها على العالم كيف دبّران
فانها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدو لما اتصل
شعاعها ومنفعتها الى كثير من الجهات لان الجبال و
الجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في اول النهار
من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال
بدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها

١٢ اوّل

في اول النهار ولا يبقى موضع من المواضع الا اخذ بقسطه
من المنفعة فيها والارب التي قدرت له ولو تخلفت مقدار
عام او بعض عام كيف كان تكون حالهم بل كيف كان يكون لهم
مع ذلك بقاء افلا ترى كيف الناس هذه الامور الجليلة
التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصارت تجري على مجاريها
لا تفتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه
واستدل بالقمر ففيه دلالة جليلة يستعملها العامة في معرفة الشهور
ولا يقوم عليه حساب السنة لان دوره لا يستوفي
في الازمنة الاربعة ونشوء الثمار وتصرمها ولذلك صارت

شهر القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها
لشتا
وصارت الشهور من شهور القمر تنتقل فيكون مرة با
الادب
ومرة بالصيف فانارته في ظلمة الليل و
برد الهوا
في ذلك فانه مع الحاجة الى الظلمة لهدو الحيوان و
حبه
على النبات لم يكن صلاح في ان يكون الليل ظلمة واحدة
احتاج
لا ضياء فيها ولا يمكن فيه شيء من العمل لانه ربما
بعض
الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في
ضوء
الاعمال في النهار او لشدة الحر وافراطه فيعمل في
الخشب
القمر اعمالا شتى كحرث الارض وضرب اللبن وقطع

وما اشبهه

معايشهم
وما اشبهه ذلك فجعل ضوء القمر معونة الناس على
اذا احتاجوا الى ذلك وانسا للسائرين وجعل طلوعه
الشمس
في بعض الليل دون بعض ونقص مع ذلك من نور
وضيائها كيلا ينبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار
ويمتنعوا من الهدو والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف
كسوف
القمر خاصة في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه و
من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصرف
يا مفضل
لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون
كونها
في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مرا

من الفلك ولا يسير الا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل
في البروج وتفترق في مسيرها فكل واحد منها [illegible]
مختلفين احدهما عام مع الفلك نحو المغرب والاخر خاص
لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحا فالرحا تدور
ذات اليمين والنملة تدور ذات اليسار والنملة في تلك
حركتين مختلفين احدهما بنفسها فتتوجه امامها
والاخرى مستكرهة مع الرحا تجذبها الى خلفها فاسأل
الزاعمين ان النجوم صادرة على ما هي عليه بالاهمال من غير
عمد ولا صانع لها ما منعها ان يكون كلها راتبة او تكون



منتقلة فان الاهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين
مختلفتين على وزن وتقدير ففي هذا بيان ان مسير الفريقين
على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس
باهمال كما يزعم المعطلة فان قال قائل ولم صار بعض النجوم راتبا
وبعضها منتقلة قلنا انها لو كانت راتبة لبطلت الدلالات
التي تستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كل برج
من البروج كما قد يستدل على اشياء مما يحدث في العالم
بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت كلها منتقلة
لم يكن لمسيرها منازل يعرف ولا رسم يوقف عليه لانه

لانه انما يوقف بسير المنتقل منها تنقلها في البروج
الراتبة كما يستدل على سير السائر على الارض بالمنازل
التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحد لاختلط
نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ لقايل ان يكون ان
كينونتها على حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهة التي
وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب
والمصلحة ابين دليل على العمد والتدبير فيها
في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها
كمثل الثريا والجوزا والشعريين وسهيل فانها لو كانت
بأسرها

بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله
دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم
كمعرفتهم الان بما يكون من طلوع الثور والجوزا اذا طلعت واحتجابها
اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في غير وقت
وقت الاخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها
على حدته كما جعلت الثريا واشباهها تظهر حينا وتحجب
حينا لضرب من المصلحة فانما جعلت الاعلام التي
يهتدي بها الناس في البحر والبر للطريق المجهولة لذلك
انها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون اليها متى ارادوا

ان يهتدوا بها الى حيث شاؤوا وصار الامران جميعاً

على اختلافهما موجهين نحو الارب والمصلحة وفيهما

مارب اخرى علامات ودلالات على اوقات كثيرة

من الاعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر

والبحر واشياء مما يحدث في الازمنة من الامطار

والثلج والحر والبرد وبها يهتدى السائرون في ظلمة

الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في

ترددها في كبد السما مقبلة ومدبرة ومشرقة

ومغربة من العبر فانها تسير باسرع السير واحثه

اورايت لو كان

ارايت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منها حتى تتبين

لها سرعة سيرها بكنه ما هي عليه لم يكن تخطف الابصار

بوهجها وشعاعها كالذى يحدث احيانا من البروق اذا

توالت واضطربت في الجو وكذلك ايضا لو ان اناسا كانوا

في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت

ابصارهم حتى يخروا بوجوههم فانظر كيف قدر ان يكون مسيرها

في البعد البعيد لكيلا تضر في الابصار وتنكأ فيها وباسرع

السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل

فيها جزء يسير من الضوء ليسد مسد الاضواء اذا لم تكن قمر

ويمكن فيه الحركة اذا احدثت ضرورة كما قد تحدث الحادثة
على المرء فيحتاج الى التجافي في جوف الليل فان لم يكن شيء
من الضوء يهتدى به لم يستطع ان يبرح مكانه فتأمل اللطف
والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة
اليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا
في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه يدور
على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن الا
لما اختلاف الليل والنهار وهذه الازمان الاربعة من
التنبيه على الارض وما عليها وما فيها من اصناف الحيوان والنبات

من ضرو

من ضروب المصلحة كالذي بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى
على ذي لب ان هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم
فان قال قائل ان هذا شيء اتفق ان يكون هكذا فما منعه ان
يقول مثل هذا في دولاب يراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر
ونبات فترى كل شيء من آلته مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه
صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وما ترى
الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه افينكر ان يقول في دولاب
خشبي مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الارض انه كان بلا
صانع ومقدر ويقدر ان يقول في هذا الدولاب الاعظم المخلوق بحكمة

يقصر عنها اذهان البشر لصلاح جميع الارض وعليها وانه **شيء**

اتفق ان يكون بلا صغر ولا تقدير لو اعتل هذا الفلك كما **يعتل**

الالات التي تتخذ للصناعات وغيرها اي شيء كان عند **الناس من**

الحيلة في اصلاحه   يا مفضل في مقادير النهار و **الليل كيف**

وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد **منهما**

اذا امتد الى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك افرأيت **لو كان**

النهار يكون مقداره مائة ساعة او مائتي ساعة الم يكن في **ذلك**

بوار كل ما في الارض من حيوان ونبات اما الحيوان فكان لا **يهدا**

ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي **لو دام**

لهاضوء

لها ضوء النهار ولا الانسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان

ذلك سينهكها اجمع ويوديها الى التلف واما النبات **فكان**

يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك

الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق اصناف الحيوان

عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى يموت جوعا وتخمد الحرارة

الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على **النبات**

اذا كان في موضع لا يطلع عليه الشمس   **كيف** اعتبر بهذا الحر و **البرد**

يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف في الزيادة **و**

النقصان والاعتدال لاقامة هذه الازمنة الاربعة **من السنة**

عليها
وما فيهما من المصالح ثم هما تبعد وبلاغ الابدان التي
بدان
بقائها وفيها صلاحها فانه لولا الحر والبرد وتداولهما الا
بعد
لفسدت وحمدت وانتكثت في دخول احدهما على الآخر
شيء
التدريج والترسل فانك ترى احدهما ينقص شيئا بعد
في
والاخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه
الزيادة والنقصان ولو كان دخول احدهما مفاجاة لاضر ذلك
موضع
لابدان واسقمها كما ان احدكم لو خرج من حمام حار الى
التوسل
البرودة لضره ذلك واسقم بدنه فلم يجعل الله عز وجل هذ
ما فيه
الحر والبرد الا للسلامة من ضرر المفاجاة ولم جرى الامر على

السلامة

انه
السلامة من ضرر المفاجاة لولا التدبير في ذلك فان زعم
زاعم ان هذا الترسل في دخول الحر والبرد انما يكون لابطاء
مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في ابطاء
بطائه
مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فان اعتل في الا
هذه
ايبعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا يزال
تستقر
المسائل ترقى معه الحيث رقي من هذا القول حتى استقر
بنضج
على العمل والتدبير لولا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة
لتستر
فتلين استقر على العمل وتعذب حتى تتفكه بها رطبة ويا
ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ ويريع الريع الكثير الذي

يتسع للقوت وما يرد في الارض للبذر افلا ترى ما في الحر

والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة

فيه يؤلم الابدان ويمضها وفي ذلك عبرة لمن فكر ودلالة

على انه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه

يا مفضل على الريح وما فيها الست ترى ركودها اذا

ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد ان ياتي على النفوس

ويحرض الاصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول

ويعقب الوباء في الابدان والآفة في الغلات ففي هذا بيان ان

هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق بجملة عن الهواء

اخرى

اخرى فانه الصوت اثر يؤثره اصطكاك الاجسام في الهواء

يؤديه الى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم

طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهوا

كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان يكربهم

ويفدحهم وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به الى

اكثر مما يحتاج اليه في تجديد القراطيس لان ما يبقى من الكلام

اكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا

خفيفا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم

يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل عنه ابدا بلا انقطاع

وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح

فانه حياة هذه الابدان والممسك لها من داخل بما تستنشق

منه ومن خارج بما تباشر من روحه وفيه تطرد هذه الاصوات

فيؤدى بها من البعد البعيد وهو الحامل لهذه الارايح ينقلها

من موضع الى موضع الا ترى كيف تاتيك الرايحة من حيث تهب

الريح وكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين

يعتقبان على العالم بصلاحه ومنه هذه الريح الهابة

فالريح تروح عن الاجسام وتزجى السحاب من موضع الى

ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى

وتلقح

وتلقح الشجر وتسير السفن وترخى الاطعمة وتبرد الماء وتشب

النار وتجفف الاشياء الندية وبالجملة انها تحيى كل ما في الارض

فلولا الريح لذوت النبات ومات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت

يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الاربعة

ليتسع ما يحتاج اليه منها فمن ذلك سعة هذه الارض وامتدادها

فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم و

مراعيهم ومنابت اعشابهم واحطابهم والعقاقير العظيمة

والمعادن الجسيمة غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات

الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي ماوى

هذه الوحوش ومحالها ومرعيها ثم فيها بعد متنفس ومضطرب

للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال باوطانهم فكم بيداء وكم

فدفد حالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس اليها وحلولهم

فيها ولولا سعة الارض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار

ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه اذا حزبه امر يضطره الى

الانتقال عنه فكر في خلق هذه الارض على ما هي عليه حين خلقت

راتبة راكنة فتكون موطناً مستقراً للاشياء فيتمكن الناس

من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوئهم

والاتقان لاعمالهم فانها لو كانت رجراجة منكفئة لم يكونوا

يستطيعون

يستطيعون ان يتقنوا البناء والنجارة والصناعة وما اشبه ذلك

بل كانوا لا يتهنون بالعيش والارض ترتج من تحتهم

ذلك بما يصيب الناس في الزلازل على قلة مكثها حتى

يصيروا الى ترك منازلهم والهرب عنها فان قال قائل فلم صارت

هذه الارض تزلزل قيل له ان الزلزلة وما اشبهها موعظة

وترهيب يرهب بها الناس ليرعووا وينزعوا عن المعاصي

كذلك ما ينزل بهم من البلاء في ابدانهم واموالهم ويجري في

التدبير في الآخرة ما لا يعدله شيء من امور الدنيا وربما

عجل ذلك في الدنيا اذا كان صلاحاً للعامة والخاصة

علیه
انّ الارض فی طباعها الّتی طبعها الله تعالی
الحجارة
بارده یابسة وکذلک الحجارة وانّما الفرق بینها وبین
وفضل یبس فی الحجارة افرایت لو الیبس افرط علی الارض قلیلاً
حیوة
حتی یکون حجراً صلداً اکانت تنبت هذا النبات الّذی به
من
الحیوان وکان یمکن بها حرثاً او بناءاً افلا تری کیف ینقص
یبس الحجارة وجعلت علی ما هی علیه من اللین والرخاوة
ولتهیأ للاعتماد ومن تدبیر الحکیم جل وعلی فی خلقة الارض
الا
ان مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب فلم جعل الله کذلک
لتنحدر المیاه علی وجه الارض فتسقیها وترویها ثم تفیض

اخر

لینحدر
اخر ذلک الی البحر فکما یرفع احد جانبی السطح ویخفض الاخر
مهب
الماء عنه ولا یقوم کذلک جعل مهب الشمال ارفع من الجنوب
لهذه العلة بعینها ولولا ذلک لبقی الماء متحیراً علی وجه الارض
فکان یمنع الناس اعمالها ویقطع الطرق والمسالک ثم الماء
عمّا
لولا کثرته وتدفقه فی العیون والاودیة والانهار لضاق
یحتاج الناس الیه لشربهم وشرب انعامهم ومواشیهم وسقی
زروعهم واشجارهم واصناف غلاتهم وشرب ما یرده من الوحش
منافع
والطیر والسباع وتتقلب فیه الحیتان ودواب الماء وفیه منافع
الجلیل
اخر انت بها عارف ومن عظم موقعها غافل فانه سوی الامر

المعروف من غنائه في احياء جميع ما على الارض من الحيوان و النبات

يمزج الاشربة فتلين وتطيب لشاربها وبه تنظف الابدان

والامتعه من الدرن الذي تغشيها وبه يبل التراب فيصلح

للاعمال وبه يكف عادية النار اذا اضطرمت واشرف الناس

على المكروه وبه يستنجح المتعب الكال فيجد الراحه من اوصاب

الى اشباه هذا من المآرب التي يعرف عظم موقعها وقت

الحاجة اليها فان شككت في منفعة هذا الماء الكثيف المتراكم

في البحار وقلت ما المآرب فيه انه مكتنف ومضطرب

ما الا يحصى من اصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت



والعنبر واصناف شتى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت

العود البلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب

الناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة

كمثل ما يجلب من الصين الى العراق ومن العراق فان هذه

التجارات لو لم يكن لها محمل الا على الظهر لبارت وبقيت

في بلدانها وايدي اهلها لان اجر حملها كان يجاوز

اثمانها فلا يتعرض احد لحملها وكان يجتمع في ذلك

امران احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها

والاخر انقطاع معايش من يحملها ويتعيش بفضلها

وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الانام من
الدخان والبخار التي تحير فيه وتعجز عما يحول الى السحاب
والضباب اولا اولا وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية والنار
ايضا كذلك فانها لو لم تكن مبثوثة كالنسيم والماء كانت
تحرق العالم وما فيه ولم يكن بد من ظهورها في الاحايين
لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الاجسام
تلتمس عند الحاجة اليها وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج
الى بقائها لئلا تخبو فلا هي تمسك بالمادة والحطب فتعظم
المؤونة في ذلك ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كلما هي فيه

بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها
والسلامة من ضررها ثم فيها خلة اخرى وهي انها مما خص
به الانسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فانه
لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فاما
البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما قدر الله عز وجل
ان يكون هذا هكذا خلق للانسان كفا واصابع مهياة
لقدح النار واستعمالها ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها
اعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها
في فقد النار ما ينال الانسان

خلقة صغيرة عظيم موقعها وهي هذه المصباح تتخذه الناس
فيقضون به حوائجهم ما شاؤا من ليلهم ولولا هذه الخلة
لكان الناس يصرف اعمالهم بمنزلة من في القبور فمن كان يستطيع
ان يكتب او يخيط او ينسج في ظلمة الليل وكيف كانت حال من عرض
له وجع في وقت من اوقات الليل فاحتاج ان يعالج ضمادا
او سفوفا او شيئا يستشفي به فاما منافعها في نضج الاطعمة
ودفاء الابدان وتجفيف اشياء وتحليل اشياء واشباه
ذلك فاكثر من ان يحصى واظهر من ان يخفى يا مفضل
في الصحو والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه

ولو دام

ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده الا ترى ان
الامطار اذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت
ابدان الحيوان وحصر الهواء فاحدث ضروبا من الامراض وفسدت
الطرق والمسالك وان الصحو لو دام جفت الارض واحترقت
النبات وغيض ماء العيون والاودية فاضر ذلك بالناس
وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضروبا اخرى من الامراض
فاذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع
كل واحد منهما عادية الاخر فصلحت الاشياء واستقامت
فان قال قائل ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل

قيل له ليمضي ذلك للانسان ويولمه بعض الالم فيرعوي عن
المعاصي وكما ان الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى الادوية
المرة البشعة لتقوم طباعه وتصلح ما تفسد منه كذلك
اذا طغى واشر احتاج الى ما يعضه ويولمه ويرعوي ويقصر عن
مساويه ويثبته على ما فيه حظه ورشده ولو ان ملكا من الملوك
قسم في اهل مملكته قناطير من ذهب وفضة الم يكن سيعظم
عندهم ويذهب له به الصوت فاين هذا من مطرة رواء يعم به البلاد
ويزيد في الغلات اكثر من قناطير الذهب والفضة في اقاليم
الارض كلها افلا ترى المطرة الواحدة ما اكبر قدرها واعظم

النعم

النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت احدهم
عن حاجة لا قدر لها فيتذمر ويتسخط ايثارا للخسيس قدره على
العظيم نفعه جميل المحمود العاقبة وقلة معرفته بعظيم الغناء
والمنفعة فيها تأمل نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه
جعل يتحدر عليها من علو ليغشى غلظ ما ارتفع منها فيرويه
ولو كان انما ياتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع
المشرفة منها ولقل ما يزرع الا ترى ان الذي يزرع سيحا اقل
من ذلك فالامطار هي التي تطبق الارض وربما تزرع هذه
البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة

من
وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤنة سياق الماء

التظالم
من موضع الى موضع وما يجرى في ذلك بينهم من التشاجر و

ثم
حتى يستاثروا بالماء ذوو العز والقوة ويحرمه الضعفاء

شيئا
قطرا
انه حين قدر ان ينحدر على الارض انحدارا جعل ذلك

التكاثف
بالرش ليغور في قعر الارض فيرويها ولو كان منسكبا

كان ينزل على وجه الارض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزرع

الحب
القائم اذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت

مصالح
المزروع ويحيى الارض والزرع القائم وفي نزوله ايضا

الحادث
اخرى فانه يلين الابدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوبا

من ذلك

المسمى
من ذلك ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء

ليس
اليرقان الى اشباه هذا من المنافع فان قال قائل او

قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة

حدتها
ما يقع منه او برد يكون فيه يحطم الغلات ويحدثه

في
في الهواء فتتولد كثير من الامراض في الابدان والافات

الانسان
الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الضرر لما فيه من صلاح

فيما
وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فتكون المنفعة

يصلح من دينه ارجح مما عسى ان يرزى في ماله

التي
يا مفضل الى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة

فضلة
تل يحسبها الغافلون الى حاجة اليها والمنافع فيها كثيرة

فمن ذلك ان تسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن
يجتمع
يحتاج اليها ويذوب ما ذاب منها العيون الغزيرة التي

قير
منها الانهار العظام وينبت فيها ضروب من النبات والعقا

قل
التي لا ينبت مثلها في السهل ويكون فيها كهوف ومعا

والقلاع
للوحوش من السباع العادية وتتخذ فيها الحصون

المنيعة للتحرز من الاعداء وينحت منها الحجارة للبناء

منها
والارحاء ويوجد فيها معادن الضروب من الجواهر

خلال اخرى لا يعرفها الا المقدر لها سابق علمه

يامفضل

المختلفة
يامفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر

مثل الجبس والكلس والجبسين والزرانيخ والمرتك والتوتيا

والزبرجد
والزيبق والنحاس والرصاص والفضة والذهب

والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج منها

يستعمله
من القار والمومياء والكبريت والنفط وغير ذلك مما

ذخائر
الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل عن هذه كلها

الحاجة
ذخرت للانسان في هذه الارض ليستخرجها فيستعملها عند

حرصهم
اليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها على

كان
واجتهادهم في ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم

لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الفضة و الذهب

ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما

في الشراء والبيع والمعاملات ولا كان يجبي السلطان الاموال ولا يدخرهما

احد للاعقاب وقد اعطى الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس

والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضة

واشباه ذلك مما لا مضرة فيه فانظر كيف اعطوا ارادتهم

فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه ومن

اوغل في المعادن انتهى الى واد عظيم يجري منصلتا بماء

غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن وراءه امثال

الجبال

الجبال من الفضة تفكر الان في هذا من تدبير الخالق الحكيم

فانه اراد جل ثناؤه ان يرى العباد بقدرته سعة خزائنه

ليعلموا انه لو شاء ان يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح

لهم في ذلك لانه كان يكون فيها كما ذكرنا سقوط هذه الجوهر

عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بانه قد يظهر الشيء الظريف

مما يحدثه الناس سقط عندهم وخست قيمته ونفاسة الاشياء

من عزتها فكر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب

فالثمار للغذاء والاتبان للعلف والحطب للوقود والخشب

لكل شيء من انواع النجارة وغيرها واللحاء والورق والاصول

والاصول والصموغ والعروق لضروب من المنافع ادات ولم تكن
لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الارض
تنبت على هذه الاغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل
في معاشنا وان كان الغذا موجودا فان المنافع بالخشب و
الحطب والابتان وساير ما عددناه كثيرة عظيم قدرها
جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره
ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاذه هيبة
فكر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت
الحبة الواحدة تخلف مائة حبة واكثر واقل وكان يجوز وان

تكون الحبة تاتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع الا لتكون
في الغلة متسع لما يرد في الارض من البذر وما يتقوت الزراع
الى ادراك زرعها المستقبل الا ترى ان الملك لو اراد عمارة
بلد من البلدان كان السبيل في ذلك ان يعطي اهله ما يبذرونه
في ارضهم وما يقوتهم الى ادراك زرعهم فانظر كيف تجد
هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا
الريع ليفي بما يحتاج اليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر
والنبت والنخل يريع الريع الكثير فانك ترى الاصل الواحد
حوله من فراخه امر عظيم فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما

ليطعمه الناس ويستعملونه في ما ربهم ومايرد فنغرس في

الارض ولوكان الاصل منه يبقى منفردا لا يفرخ ولا يربع

لما امكن ان يقطع منه شيء لعمل ولا يغرس ثم كان ان اصابته

آفة انقطع اصله فلم يكن منه خلف   نبات هذه الحبوب

من العدس والماش والباقلي وما اشبه ذلك فانها

تخرج في اوعية مثل الخرايط لتصونها وتحجبها من الآفات

الى ان تشتد وتستحكم كما قد يكون المشيمة على الجنين

لهذا المعنى بعينه فاما البر وما اشبهه فانه يخرج مدرجا

في قشور صلاب على رؤسها امثال الاسنة من السنبل

لتمنع

التمنع الطير منه ليتعرفه على الزراع فان قال قائل او ليس

قد ينال الطير من البر والحبوب قيل له بلى على هذا قدر

الامر فيها لان الطير خلق من خلق الله وجعل الله تبارك

وتعالى فيما تخرج الارض حظا ولكن حصنت الحبوب

بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث

فيها ويفسد الفساد الفاحش فان الطير لو صادف

الحب بارزا ليس عليه حائل دونه لاكب عليه حتى ينسفه

اصلا فكان يعرض من ذلك ان يبشم الطير فيموت ويخرج

الزراع من زرعه صفرا فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه

فينال الطائر منه شيئاً يسيراً تتقوت به ويبقى اكثره للانسان

فانه اولى به اذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به وكان يحتاج

اليه اكثر مما يحتاج اليه الطير لحكمة في خلق الشجر واصناف

النبات فانها لما كانت يحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان

ولم يكن لها افواه كافواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها

لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة في الارض لتنزع منها

الغذاء فتؤديه الى الاغصان وما عليها من الورق والثمر

فصارت الارض كالام المربية لها وصارت اصولها التي هي كا

الافواه ملتقمة للارض لتنزع منها الغذاء كما ترضع اصناف

الحيوان

للحيوان امهاتها الم تر الى عمد الفساطيط والخيم يمد بالاطناب

من كل جانب ليثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا

تجد النبات كله له عروق منتشرة في الارض ممتدة

الى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولولا ذلك كيف كان يثبت

هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف الى

حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة

يستعملها الصناع في ثبات الفساطيد والخيم متقدمة في

خلق الشجر لان خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم

الا ترى عمدها وعيدانها من الشجرة فالصناعة ماخوذة من الخلقة

العروق
يا مفضل خلق الورق فانك ترى في الورقة شبه
ومنها
مبثوثة فيها اجمع فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها
كان
رقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا معجما لو
شجرة
مما يصنع بالايدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق
وعلاج
واحدة في عام كامل ولاحتيج الى الالات وحركة
بملؤه
وكلام فصار ياتي منه في ايام قلائل من الربيع ما
م
الجبال والسهل وبقاع الارض كلها بلا حركة ولا كلام
مع
الا بالارادة النافذة في كل شيء والامر المطاع واعرف
تتخلل
ذلك العلة في تلك العروق الدقاق فانها جعلت

الورقة

المشوثة
الورقة باسرها لتسقيها وتوصل اليها بمنزلة العروق
في البدن لتوصل الغذاء الى كل جزء منه وفي الغلاظ ههنا
تنهتك
معنى اخر فانها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها
خرق
وتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من
قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك
فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة وان كانت لا تدركها
جعل
على الحقيقة   في هذا العجم والنوى والعلة فيه فانه
في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس
مواضع
عائق كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة اليه في

اخرنا ان حدث على الذنب في بعض المواضع منه حادث وجد

في مواضع اخر ثم هو بعد يمسك بصلابة بقدر رخاوة الثمار

ورقتها ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت واسرع اليه الفساد

وبعضه يوكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح

وقد تبين لك موضع الادب في العجم والنوى الان

في هذا الذنب تجده فوق النواة من الرطبة وخرق العجم من العفنة

فما العلة فيه ولماذا يخرج في هذه الهيئة وقد كان يمكن

ان يكون مكان ذلك الذنب شيء مما كل بحسب ما يكون في الرد والدلب

وما السبب ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذه

الا ليستمتع

ليستمع بها الانسان في ضرب من التدبير في الشجر فانك

تراه في كل سنة موتة فيحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد

فيه مواد الثمار ثم يحيا وينتشر فيأتيك بهذه الفواكه نوعاً

بعد نوع كما تقدم انواع الاخبصة التي تعالج بالايدي واحداً

بعد واحد فترى الاغصان في الشجر تلقاك بثمارها

حتى كانها تناولكها عن يد وترى الرياحين تلقاك في افنانها

كانها تحبيك بنفسها فلمن هذا التقدير الا لمقدر حكيم

وما العلة فيه الا ان تفكه الانسان بهذه الثمار والانوار

والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر على النعم جحود المنعم بها

بخلوق الرمانة وما ترى فيها من اثر العمد

والتدبير فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم مركوم

في نواحيها وحبا مرصوفا رصفا كنحو ما ينضد باليد

وترى الحب مقسوما اقساما وكل قسم منها ملفوفا بلفايف

من حجب منسوجة اعجب النسج والطفه وقشره يضم ذلك

كله فمن التدبير في هذه الصنعة ان لم يكن يجوز ان يكون

حشو الرمانة من الحب وحده وذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضا

فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى ان

اصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ثم لف بتلك اللطايف لتضمه

وتمسكه

وتمسكه فلا يضطرب وغشى فوق ذلك بالقشرة المستحصفة

لتصونه وتحصنه من الافات فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة

وفيه اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذرع في الكلام

ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار

يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار

الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير

والحكمة فانه حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته

منبسطا على الارض ولو كان تنتصب قائما كما ينتصب الزرع

والشجر لما استطاع ان يحمل هذه الثمار الثقيلة ولتقصف

قبل ادراكها وانتهائها الى غاياتها انظر كيف صار
يمتد على وجه الارض ليلقى عليها ثمارها فتحملها عنه فترى
الاصل من القرع والبطيخ مفترشا للارض وثماره مبثوثة
عليها وحواليه كانه هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها لترضع
منها وانظر كيف صارت الاصناف توافي في الوقت المشاكل
لها من حمارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانشراح
بانشراح وتشوف اليها ولو كانت توافي الشتا لوافقت
من الناس كراهة لها واقشعرارا منها مع ما يكون منها
من المضرة من الابدان الا ترى انه ربما ادركت شيء من الخيار

في الشتا

في الشتاء فيمتنع الناس من اكله الا الشره الذي لا يمتنع
من اكل ما يضره ويستوخم مغبته يا مفضل في النخل
فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى التلقيح جعلت فيه
ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر
من الحيوان الذي يلقح الاناث لتحمل وهو لا يحمل خلقة الجذع
كيف هو فانك تراه كالمنسوج نسجا من خيوط
ممدودة كالسدى واخرى معه معترضة كاللحمة كيما
ما ينسج بالايدي وذلك ليشتد ويصلب ولا يتقصف
من حمل القنوان الثقيلة وهز الرياح العواصف

اذا اصابه بلل وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك
مما يتخذ منه اذا اصابه جذعاً وكذلك ترى الخشب مثل
النبح فانك ترى بعضه مداخلاً بعضاً طولاً وعرضاً
كتداخل اجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ
منه من الالات فانه لو كان مستحصفاً كالحجارة لم يمكن
ان يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة
كالابواب والاسرة والتوابيت وما اشبه ذلك ومن
المصالح في الخشب انه يطفو على الماء فكل الناس يعرف
هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الامر فيه فلولا هذه الحلة

كيف

كيف كانت هذه السفن والاطواف تحمل امثال الجبال
من الحمولة واني كان خيال الناس عن هذا الرفق وخفة
المؤنة في حمل التجارات من بلد الى بلد كانت تعظم
المؤنة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه في
بعض البلدان مفقوداً اصلاً او عسراً وجوده
في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها من
العمل في بعض الادواء فهذا يغوص في المفاصل فيستخرج
الفضول الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف المرة السوداء
مثل الافتيمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا

يحلل الاورام واشباه هذا من افعالها في جعل هذه
القوى فيها من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس لها
الا من جعل هذا ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض
بالاتفاق كما قال قايلون رهب الانسان فطن لهذه
الاشياء بذهنه ولطيف رؤيته وتجاربه فالبهائم
كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع تداوى من
خراجات اصابته بعض العقاقير فيبرء او بعض الطير
يحتقن من الحصر بصب ماء البحر فيسلم واشباه هذا
كثير ولعلك تشك في هذا النبات الثابت في الصحارى

والبوادى

والبوادى حيث لا انس ولا انيس فتظن انه فضل لا حاجة
اليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف
للطير وعوده وافنانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد
اشياء تعالج به الابدان واخرى تدبغ به الجلود
واخرى تصبغ الامتعة واشباه هذا من المصالح الست
تعلم ان من اخس النبات واحقره هذا البردى وهما ا: شجهة ففيها
مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ من البردى القراطيس التى
يحتاج اليها الملوك والسوقة والحصر التى يستعملها كل
صنف من الناس ويعمل منه العلف التى يوقى بها الاوانى

ويجعل حشوا بين الظروف في الاسباط الكيلة تعيب وتنكو

واشباه هذا من المنافع بما تتوى من ضروب المآدب

في صغير الخلق وكبيره وربما لو فيه وما الآتية لدفا خشومن

هذا دالحقر والزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخنافس والنجاسة

معا موقعها من الزروع والبقول والخضر اجمع الموقع الذي

لا يعدله شيء حتى ان كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكوا الا

بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو

منه واعلم ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان

لسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق

العلم

العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطنوا

طالبوا الكيميا لما في العذرة لاشتروها بانفس الاثمان

وغالوا بها قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي

الى الصلوة وقال بكّر الي غدا ان شاء الله فانصرفت وقد تضاعف

سروري بما عرفنيه مبتهجا بما آتانيه حامدا الله على ما منحنيه

نبت ليلتي مسرورا قال المفضل فلما كان اليوم الرابع

بكرت الى مولاي فاستوذن لي بالدخول فامرني بالجلوس

فجلست وقال عليه السلام منا التحميد والتسبيح والتعظيم

والتقديس للاسم الاقدم والنور الاعظم العلي العلام ذي الجلال

المستور
السر
والاكرام ومنشئ الانام ومفني العوالم والدهور وصاحب

وبركاته
والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون وصلواته

ونذيرا
على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي ابتعثه بشيرا

عن
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ليهلك من هلك

الطيبات
بينة ويحيى من حي عن بينة فعليه وعلى اله من بارئه الصلوات

والتحيات الزاكيات الناميات وعليه وعليهم السلم والرحمة والبركات

وهم
في الماضين والغابرين ابد الابدين ودهر الداهرين

من الادلة
هو
اهله ومستحقوه قد شرحت لك يا مفضل على الخلق والشواهد

على صواب التدبير والعمد في الانسان والحيوان والنبات

واد
يحى

الآن
والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح لك

اناس
الافات الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها

وما انكرت
من الجهال ذريعة الى جحود الخلق والخالق والعمد والتدبير

و
والفناء
المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب وما انكروه من الموت

والاتفاق
وما قاله اصحاب الطبايع ومن زعم ان كون الاشياء بالعرض

اتخذ
ليتسع ذلك القول في الرد عليهم قاتلهم الله انى يوفكون

اناس من الجهال هذه الافات الحادثة في بعض الازمان

الخلق
كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ذريعة الى جحود

فلم لا يكون
والتدبير والخالق في جواب ذلك انه ان لم يكن خالق ومدبر

الارض
ما هو اكثر من هذا واقطع من ذلك ان يسقط السماء على

اصلاً
وتهوى الارض فتذهب سفلاً او تتخلف الشمس عن الطلوع

وتجف الانهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة وتركد الريح حتى

هذه
تخم الاشياء وتفسد وتغيض ماء البحر على الارض فيغرقها ثم

لها
الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما اشبه ذلك ما با

الاحايين
لا تدوم وتمتد حتى يحتاج كل ما في العالم بل يحدث في

تلك
ثم لا تلبث ان ترتفع انك لو ترى ان العالم يبقى ان يحفظ من

احيانا
احداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ويلدغ

هذه
بهذه الآفات اليسيرة لتاديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم

الآفات

موعظة
الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فيكون وقوعها بهم

المنافية
وكشفها عنهم رحمة وقد انكرت المعطلة ما انكرت

ان كان
من المكاره والمصائب التي تصيب الناس فكلاهما يقول

ما القائل
للعالم خالق رؤف رحيم فلم تحدث فيه هذه الامور المكروهة

شيء
بهذا القول يذهب الى انه ينبغي ان يكون عيش الانسان

الانسان
هذه الدنيا صافيا من كل كدر ولو كان هكذا لكان

سيخرج من الاشر والعتو الى ما لا يصلح في دين ولا دنيا

يخرجون
كالذي ترى كثيرا من المترفين من نشاء في الجدة والامن

ان
الى حتى ان احدهم ينسى انه بشر او انه مربوب او ان ضررا يمسه

سي

مكروهاً ينزل به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفاً او يوا

فقيراً او يرثي لمبتلي او يحنو على ضعيف او يتعطف

ويجبر كسيراً

على مكروب فاذا عضته المكاره ووجد مضضها القطه

والمنكرون

مما كان جهله وغفل عنه ودعي الى كثير مما كان يجب عليه

المدة

لهذا الامر المؤذي يعيبون لنا الصبيان الذين يذمون الادوية

الادب

البشعة ويسخطون من المنع من الاطعمة الضارة ويكرهون

مطعم

والعمل ويحبون ان يفرغوا للهو والبطالة وينالوا كل

والعادة

ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم اليه البطالة من سوء النشو

ومالهم

وما تعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء والاسقام

في الادب

في الادب من الصلاح وفي الادوية من المنفعة وان شاب

ذلك بعض الكراهة فان قالوا ولم يكن الانسان معصوماً

قبل اذا

من المساوي حتى لا يحتاج الى ان يلذعه بهذه المكاره

عليها

ما يكون غير محمود على حسنة تاتيها ولا مستحق للثواب

مستحقاً

فان قالوا وما كان يضره ان لا يكون محموداً على الحسنات

على

للثواب بعد ان يصير الى غاية النعم واللذة فيقال لهم ارضوا

[illegible]

امرء صحيح الجسم والعقل ان يجلس متنعماً ويكفى كلما يحتا

بل يجد ويد

اليه بلا سعي ولا استحقاق فانظروا هل يقبل ذلك نفسه

منه

بالقليل مما يناله بالسعي والحركة اشد اغتباطاً وسروراً

ن
بالكيتق مما يناله بغير الاستحقاق له فالنعمة على الانسان
هذه
في هذه البا مضاعفة فان اعد له الثواب الجزيل على سعيه في
الدنيا وجعل له السبيل الى ما يناله بذلك يسعى واستحقاق
ليس
فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فان قالوا او
لا
قد يكون من الناس من يركن الى ما يناله من خير وان كان
هذه
ليستحقه فما الحجة في منع من رضي ان ينال نعيم الاخرة على
الزيادة
الجملة قيل لهم هو ان اباب لو صح للناس لخرج الى غاية الكلية
حشمة
على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان يكف نفسه عن فاحشة
الى
او يحمل المشقة في باب من ابواب البر لو وثق بانه صائر

النعم

الناس
النعم لا محالة او من كان يأمن على نفسه واهله وماله من
الناس
لو لم تخاف الحساب والعقاب وكان مزهد هذا الباب سينال
والحكمة
في هذه الدنيا قبل الاخرة فيكون في ذلك تعطيل العدل
عن
معا وموضع للتطفل على التدبير بخلاف العقاب ووضع الامور
الفاجر
مواضعها وتعلق هولاء بالآفات التي تصيب الناس فتعم البر و
ويبتلي بها البر ويسلم الفاجر منها فقالوا كيف يصح هذا في
تدبير الحكيم وما الحجة فيه فيقال لهم ان هذه الآفات وان كانت
صلاحا
تنال الصالح والطالح جميعا فان الله عز وجل جعل ذلك
من بعدها
للصنفين كليهما   الصالحون فان الذي يصيبهم

يوهم نعم ربهم عندهم في سالف ايامهم فيحدوهم ذلك على الشكر

والصبر الصالحون فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرهم وردعهم

عن المعاصي والفواحش وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين

صلاحا في ذلك الابرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البر

والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة الفجار فانهم يعرفون

رحمة ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاق فيحضهم ذلك

على الرافة بالناس والصفح عمن اساء اليهم ولعل قائلا يقول

ان هذه الاوقات التي تصيب الناس في اموالهم فما قولك فيما

يبتلون في ابدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل

والخسف

والخسف فيقال له ان الله جعل في هذا صلاحا ايضا للصنفين

جميعا اما الابرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من

تكاليفها والنجاة من مكارهها واما الفجار فلما لهم في ذلك

من تمحيص اوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة القول

ان الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الامور

كلها الى الخير والمنفعة فكما انه اذا قطعت الريح شجرة او قطعت

نخلة اخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع

فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الافات التي تنزل بالناس في

ابدانهم واموالهم فيصيرها جميعا الى الخير فان قال قائل

ولم لا تحدث على الناس قيل له لكيلا يركنوا الى المعاصي من طول
فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد
في البر فان هذين الامرين جميعا يغلبان على الناس مع الخفض
والدعة وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على
ما فيه رشدهم فلو اخلوا العلو في الطغيان والمعصية كما غني
الناس في اول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهر من الارض
منهم ومما ينتقد الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء
فانهم يذهبون الى انه ينبغي ان يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا
مبرئين من الآفات فينبغي ان يساق هذا الامر الى غايته فينظر

ما محصوله

ما محصوله افرايت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون
ولا يموت احد منهم الم تكن الارض تضيق بهم حتى تعوزهم
المساكين والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك
فيهم الدماء فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يلدون ولا
يموتون وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلب
وثقوا بانهم لا يموتون لما قنع واحد منهم بشيء يناله ولا
افرج لاحد عن شيء يسأله ولا سلا عن شيء مما يحدث
عليه ثم كانوا يملون الحيوة وكل شيء من امور الدنيا كما قد
يمل الحيوة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا

من الدنيا فان قالوا انه كان ينبغي ان يرفع عنهم المكاره

والاوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا اليه فقد وضعنا

ما كان يخرجهم اليه من العتو والاشر الحامل لهم على ما فيه

فساد الدين والدنيا وان قالوا انه كان ينبغي ان لا تسوالله

واكيلا يضيق عليهم المساكن والمعاش قيل لهم اذا كان يحرم

اكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله ومواهبه

في الدارين جميعا اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد لا

يتوالدون ولا يتناسلون فان قالوا كان يخلق في ذلك

القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء

العالم

العالم يقال لهم رجع الامر الى ما ذكرنا

من ضيق المساكن والمعاش عنهم ثم

لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون

لذهب موضع الانس بالقرابات وذوي

الارحام والانتصار بهم عند الشدائد

وموضع تربية الاولاد والسرور بهم

ففي هذا دليل على ان كلما تذهب اليه

الاوهام سوى ما جرى به التدبير

خطا وسفاه من الراي والقول ولعل

طاعنا يطعن على التدبير من جهة اخرى فيقول كيف
يكون هھنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزيز
فالقوي يظلم ويغصب الضعيف ظلم ويسام الخسف والصالح
فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليها ومن ركب فاحشة
او انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير
لجرت الامور على القياس القائم فكان هو الصالح المرزوق
والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف
والمنتهك للمحارم ويعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذلك
ان هذا لو كان هذا الذهب موضع الاحسان الذي فضل

به الانسان

الانسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح
احتسابا للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس
بمنزلة الدواب التي تساس بالعصا والعلف ويلمع لها بكل
واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن احد يعمل
على يقين بثواب او عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الانسية
الى حد البهائم ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل الا على الحاضر وكان
يحدث من هذا ايضا ان يكون الصالح انما يعمل الصالحات
للرزق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش
انما يعف عن ذلك لتوقع عقوبة تنزل به من ساعته حتى يكون

افعال الناس كلها تجري عن الحاضر لا يشوبها شيء من البعيق

بما عند الله ولا يستحقون ثواب الاخرة والنعيم الدائم فيها

مع ان هذه الامور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية

والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه بل قد تجري على

ذلك احيانا على الامر المفهوم فقد ترى كثيرا من الصالحين

يرزقون المال المرغوب من التدبير كيلا يشتبه على قلوب

الناس ان الكفار هم المرزوقون والابرار هم المحرومون

فيؤثرون الفسق على الصلاح وترى كثيرا من الفساق

يعاجلون بالعقوبة اذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس

وعلى انفسهم

وعلى انفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبخت نصر بالبلية

وبلبيس بالقتل وان امهل بعض الاشرار بالعقوبة واخر

بعض الاخيار بالثواب الى الدار الاخرة لاسباب تخفى على

العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فان مثل هذا قد يكون

من ملوك الارض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تاخيرهم ما اخروه

او تعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الراي والتدبير واذا

كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب ان للاشياء

خالقا حكيما قادرا فما يمنعهم ان يدبر خلقه فانه لا

يصح في قياسهم ان يكون الصانع يهمل صنعته الا

الا باحد ثلاث خلال اما عجز واما جهل واما شرارة وكل
هذه محال في صنعته عز وجل وتعالى ذكره وذلك ان العاجز
لا يستطيع ان ياتي هذه الخلايق الجليلة العجيبة والجاهل
لا يهتدى لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لا يتطاول
لخلقها وانشائها واذا كان هذا هكذا اوجب ان يكون الخالق
لهذه الخلايق يدبرها لا محالة وان كان لا يدرك كنه ذلك
التدبير ومخارجه فان كثيرا من تدبير الملوك لا تفهمه العامة
ولا تعرف اسبابه لانها لا تعرف دخلة امر الملوك واسرارهم
فاذا عرف سببه وجد قائما على الصواب والشاهد والمحنة لو شككت

في بعض

في بعض الادوية والاطعمة فتبين لك من جهتين او ثلاث
انه حار وبارد الم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك
فيه عن نفسك فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم
بالخالق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة واكثر منها
ما لا يحصى كثرة لو كان نصف العالم وما فيه مشكلا صوابه
لما كان من حزم الراي وسمت الادب ان يقضي على العالم
بالاهمال لانه كان في النصف الاخر وما يظهر فيه من الصواب
والاتقان ما يردع الوهم عن التسرع الى هذه القضية
فكيف وكل ما فيه اذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر

بالبال شئ الا وجد ما عليه الخلقة اصح واصوب منه

يا مفضل ان اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف

عندهم قوسموس وتفسيره الزينة وكذلك سمته الفلاسفة

ومن ادعى الحكمة افكانوا يسمونه بهذا الاسم الا لما رأوا فيه

من التقدير والنظام فلم يرضوا ان يسموه تقديرا ونظاما

حتى سموه زينة ليخبروا انه مع ما هو عليه من الصواب والاتقان

على غاية الحسن والبهاء   يا مفضل من قوم لا يقضون

على صناعة الطب بالخطاء وهم يرون الطبيب يخطئ ويقضون

على العالم بالاهمال ولا يرون شيئا منه مهملا بل العجب من

اخلاق

من اخلاق من ادعى الحكمة حين جهلوا مواضعها من الخلق

فارسلوا السنتهم بالذم للخالق جل وعلا بل العجب من

المخذول كذا مانی حين ادعى علم بالاسرار وعمي عن دلايل

الحكمة في الخلق حتى نسبه الى الخطاء ونسب خالقه الى الجهل

تبارك الحكيم الكريم [illegible] منهم جميعا المعطلة الذين

راموا ان يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل فلما اعوزهم

ذلك خرجوا الى الجحود والتكذيب فقالوا ولم لا يدرك

بالعقل قيل لانه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما

هو فوق مرتبته فانك لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت ان

وامياوى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل

لانّ العقل هو الذي يميزه فيعلم ان الحجر لا يذهب علوا من تلقاء

نفسه افلا ترى كيف وقف البصر على حدّه فلم يتجاوزه فلذلك

يقف العقل على حده من معرفة الخالق فلا يعدوه ذلك يعقله

بعقل اقرّ ان فيه نفسا ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة

من الحواس وعلى حسب هذا ايضا نقول انّ العقل يعرف الخالق

من جهة يوجب عليه الاقرار ولا يعرفه بما يوجب له الاحاطة

بصفة فان قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفة

بالعقل اللطيف ولا يحيط به قيل لهم انّما كلف العباد من

ذلك

من ذلك ما في طاقتهم ان يبلغوه وهو ان يوقنوا

به ويقفوا عند امره ونهيه ولم يكلفوا الاحاطة

بصفته كما ان الملك لا يكلف رعيته ان يعلموا اطويل

ام قصير وابيض هو ام اسود وانما يكلفهم الاذعان

لسلطانه والانتهاء الى امره الا ترى ان رجلا لو اتى

باب الملك فقال اعرض على نفسك حتى انقضى معرفتك

والا لم اسمع لك كان قد احل نفسه العقوبة فكذا

القايل انه لا يقر بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرض

لسخطه فان قالوا اوليس قد نصفه فنقول هو العزيز الحكيم

الجواد الكريم قيل لهم كل هذه صفات اقرار وليست صفات
احاطة فانا نعلم انه حكيم ولا يحيط بكنه ذلك كذلك
قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء ولا ندري
ما جوهرها ونرى البحر ولا ندري اين منتهاه بل فوق
هذا المثال بما لا نهاية له لان الامثال كلها تقصر عنه ولكنها
تقود العقل الى معرفته فان قالوا ولم يختلف فيه
قيل لهم لقصر الاوهام عن مدى عظمته وتعديها اقدارها
في طلب معرفته وانها تروم الاحاطة به وهي تعجز عن
ذلك وما دونه فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع

على العالم

على العالم ولا يوقف على حقيقة امرها ولذلك كثرت
الاقاويل فيها واختلف الفلاسفة المذكورون
في وصفها فقال بعضهم هو فلك اجوف مملو نارا له
فم يجيش بها الوهج والشعاع وقال اخرون هو جسم
زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال
اخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال
اخرون هو اجزاء كثيرة مجتمعة من النار وقال اخرون
هو من جوهر خامس سوى الجواهر الاربعة ثم اختلفوا
في اشكالها فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة عريضة وقال

آخرون كالكرة المدحرجة وكذلك اختلفوا في مقدارها
فزعم بعضهم انها مثل الارض سواء وقال آخرون
بل هي اقل من ذلك وقال آخرون بل هي اعظم من الجزيرة
العظيم وقال اصحاب الهندسة هي اضعاف الارض مائة
وسبعين مرة ففي اختلافهم في هذه الاقاويل منهم في الشمس
دليل على انهم لم يقفوا على الحقيقة من امرها واذا كانت
هذه الشمس التي يقع عليها البصر ويدركها الحس قد عجزت
العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن
الحس واستتر عن الوهم فان قالوا لم استتر قيل لهم

يستتر

ولم يستتر بحيلة يخلص اليها من يحتجب عن الناس بالابواب
والستور وانما معنى قولنا استتر انه لطف عن مدى ما
تبلغه الاوهام كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت
عن ادراكها بالنظر فان قالوا ولم لطف وتعالى عن ذلك علوا
كبيرا كان ذلك خطاء من القول لانه لا يليق بالذي هو
خالق كل شيء الا ان يكون مباينا لكل شيء متعاليا عن كل
شيء سبحانه وتعالى فان قالوا كيف يعقل ان يكون مباينا
لكل شيء متعاليا قيل لهم الحق الذي يطلب معرفته من الاشياء
هو اربعة اوجه فاولها ان ينظر اموجود هو ام ليس بموجود والثاني

ان يعرف ما هو في ذاته وجوهره والثالث ان يعرف كيف
هو وما صفته والرابع ان يعلم لماذا هو ولانه علة فليس
من هذه الوجوه شيء يحكي المخلوق ان يعرفه من الخالق حق معرفته
غير انه موجود فقط فاذا قلنا وكيف وما هو فممتنع علم كنهه ونال
المعرفة بدوا ما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لانه جل ثناؤه
علة كل شيء وليس شيء بعلة له ثم ليس علم الانسان منه موجود وموجب
له ان يعلم ما هو فكيف هو كما ان علمه بوجود النفس لا يوجب
ان يعلم ما هي وكيف هي وكذلك الامور الروحانية اللطيفة
فان قالوا فانتم الان تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتى كانه

غير معلوم

غير معلوم قيل له هو كذلك من جهة اذا رام العقل معرفة كنهه
والاحاطة به وهو من جهة اخرى اقرب من كل قريب اذا استدل
عليه بالدلايل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على احد
وهو من جهة كالغامض لا يدركه احد وكذلك العقل ايضاً
ظاهر بشواهده ومستور بذاته فاما اصحاب الطبايع فقالوا ان
الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا عما فيه تمام الشيء في
طبيعته وزعموا ان الحكمة تشهد بذلك فقيل لهم فمن اعطى
الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الاشياء بلا
مجاوزة لها وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب

فعال
فان اوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الا
انكروا
فقد اقروا بما انكروا لان هذه هي صفات الخالق وان
ان يكون هذه الطبيعة فقد اوجب الخلق بصفته
بان الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طائفة
انكروا العمد والتدبير في الاشياء وزعموا ان كونها
التي
بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الآيات
تلد غير مجرى العرف والعادة كالانسان يولد ناقصا او
زائدا اصبعا او يكون المولود مشوها مبدل الخلق فجعلوا
لعرض
هذا دليلا على ان كون الاشياء ليس بعمد وتقدير بل با

كيف ما اتفق

كيف ما اتفق ان يكون وقد كان ارسطاطاليس رد
عليهم فقال ان الذي يكون بالعرض والاتفاق انما
بلها
هو شيء ياتي في الفرط مرة لاعراض تعرض للطبيعة فتزيلها
واحد
عن سبيلها وليس بمنزلة الامور الطبيعية الجارية على شكل
في
جريا دائما متتابعا وانت ترى اصناف الحيوان يجري
اكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالانسان يولد وله
يدان ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور الناس فاما
ما يولد على خلاف ذلك فانه لعلة تكون في الرحم
عات
او في المادة التي منها الجنين كما يعرض في الصنا

حين يحتمل الصانع الصواد التي صنعه فيعوق دون

يحدث

عايق في الادوات او في الالة التي يعمل فيها الشي فعله

الولد

مثل ذلك في اولاد الحيوان للاسباب التي وصفنا فيات في

نائس او ناقصا او مشوها ويسلم اكثرها فيا يسوي الاعلة

فيه فكما ان الذي يحدث في بعض الاعمال الاغراض لعلة فيه لا

الافعال

يوجب عليها الاهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض

الطبيعة لعايق يدخل عليها لا يوجب ان يكون جميعها

بالعرض والاتفاق فقول من قال في الاشياء ان كونها

بالعرض والاتفاق من قبل ان شيئا منها ياتي على خلاف

الطبيعة

الطبيعة بعرض يعرض له خطا وخطل فان قالوا ولم

صار مثل هذا يحدث في الاشياء قيل لهم ليعلم انه ليس

كون الاشياء باضطرار من الطبيعة ولا يمكن ان يكون

سواه كما قال قائلون بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم

اذ جعل الطبيعة تجري اكثر ذلك على مجرى ومنها معروف

بذلك

ويزول احيانا عن ذلك لاعراض تعرض لها فيستدل

في بلوغ

على انها مصرفة مدبرة فقيرة الى ابداء الخالق وقدرته

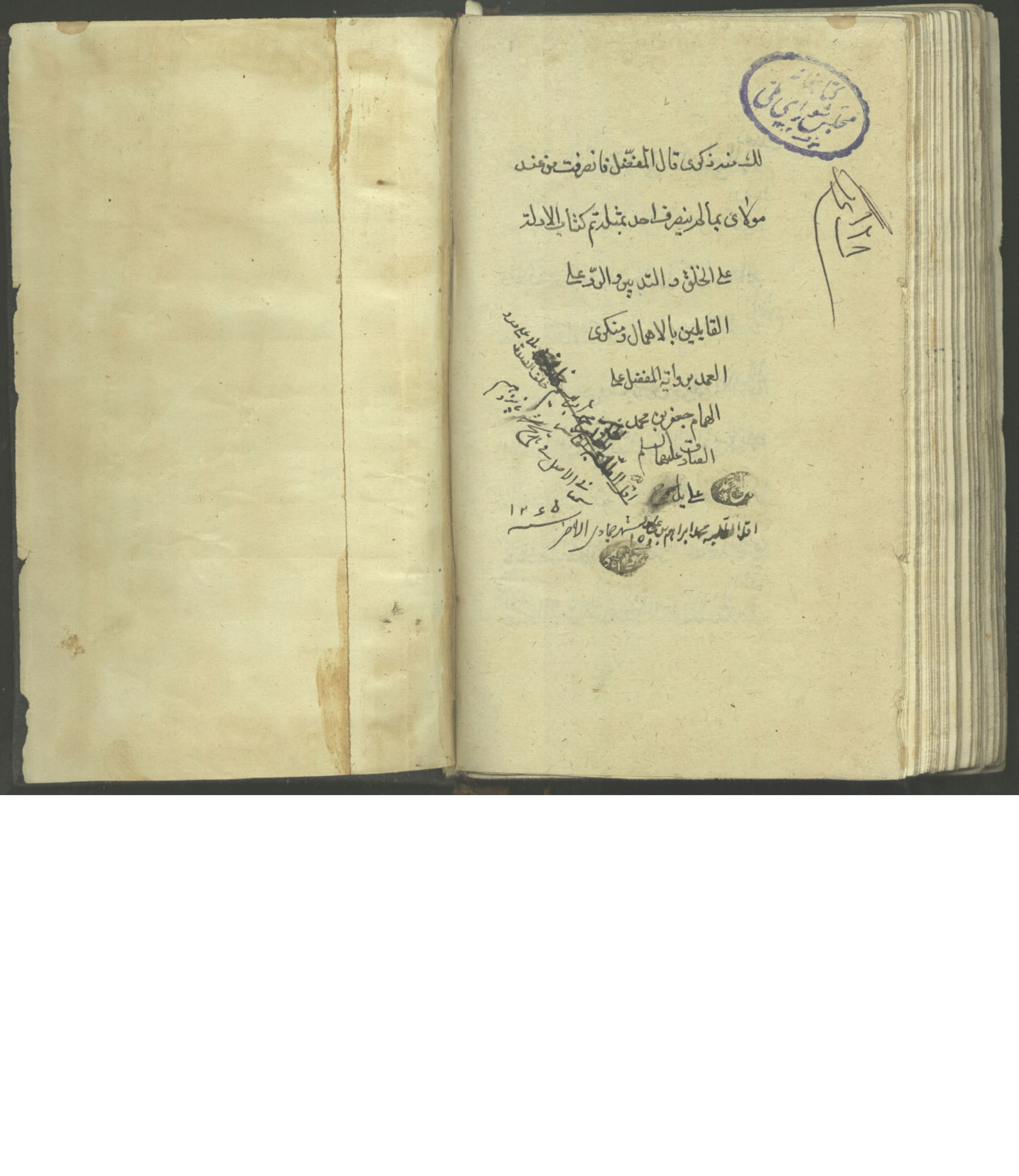
غايتها واتمام عملها تبارك الله احسن الخالقين

خذ ما اتيتك واحفظ ما منحتك وكن له من الشاكرين

ولا انه من الحامدين ولا اوليائه من المطيعين فقد شرحت
لك من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير
والعمد قليلا من كثير وجزءا من كل فتدبره وفكر فيه واعتبر
به فقلت بمعونتك يا مولاي اقوى على ذلك وابلغه
ان شاء الله فوضع يده على صدري فقال احفظ بمشية
الله ولا تنس ان شاء الله فخررت مغشيا فلما افقت
قال كيف ترى نفسك يا مفضل فقلت قد استغنيت
بمعونة مولاي وتاييده عن الكتاب الذي كتبته وصار
ذلك بين يدي كانما اقراه من كفي فلمولاي الحمد والشكر كما هو

اهل

ومستحقه فقال يا مفضل فرغ قلبك واجمع اليك ذهنك
وعقلك وطمانينتك فساالقي اليك من علم ملكوت السموات
والارض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجايب
خلقه واصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم
الى سدرة المنتهى وساير الخلق من الجن والانس الى
الارض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى يكون
ما وعيته جزءا انصرف اذا شئت مصاحبا مكلوا
فانت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين
بموضع الماء من الصدى ولا تسالن عما وعدتك حتى احدث



لك منه ذكرى قال المفضل فانصرفت من عند
مولاى بما لم ينصرف احد بمثله تم كتاب الادلة
على الخلق والتدبير والرد على
القائلين بالاهمال ومنكرى
العمد برواية المفضل عن
الامام جعفر بن محمد
الصادق عليهما السلم
على يد
اقل الطلبة محمد ابراهيم بن على في شهر جمادى الاخر سنة ١٢٦٥



